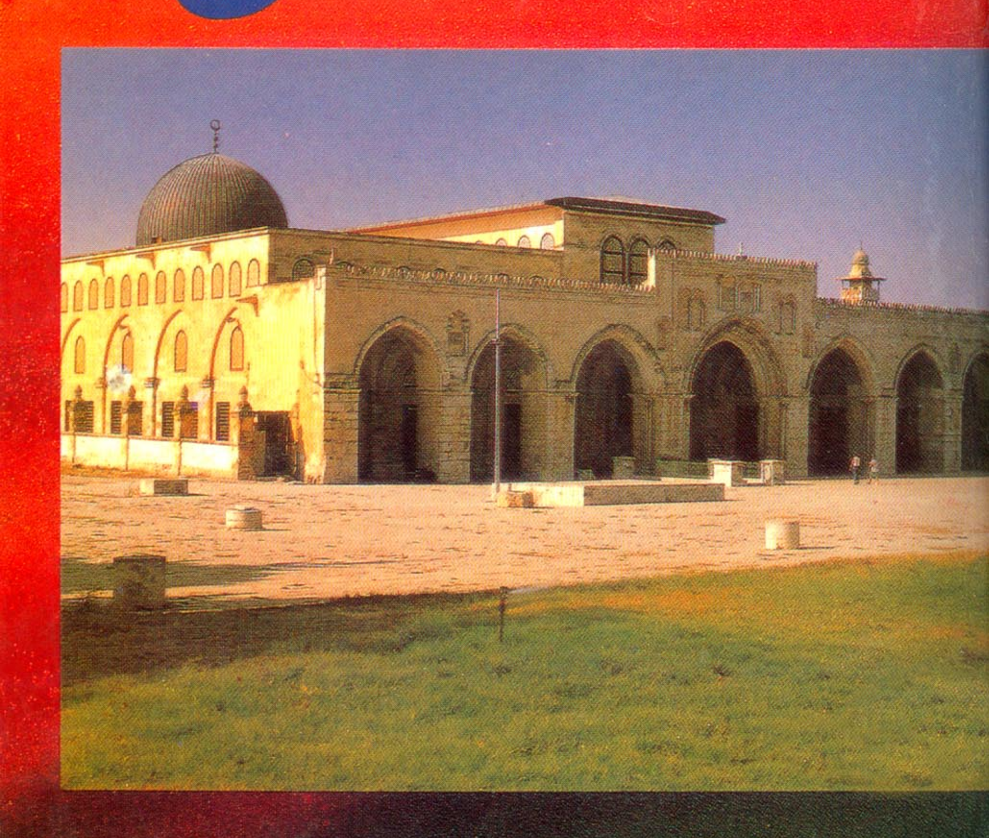
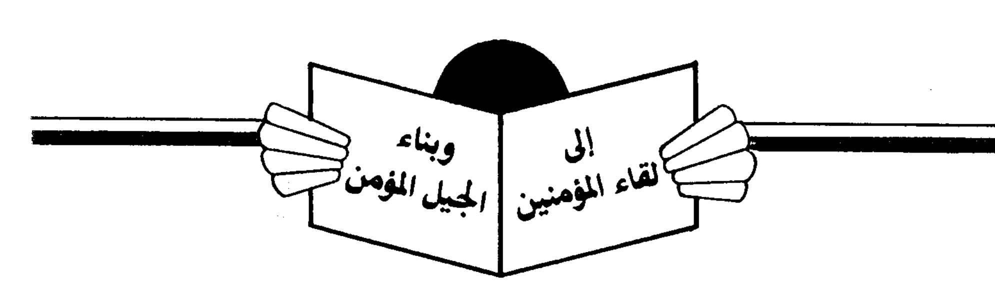
ملحمة الأقصى



الدكتور
عدنان علي رضا النحوي

الطبعة الثانية
١٤هـ - ١٩٩٣م

دار النحوي
للنشر والتوزيع



ملحمة الأقصى

يَا لَوْعَةَ الأَقْصَى وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ
نَارٌ وَفَوْقَ قِبَابِهِ عُدْوَانُ

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

٨١١٩٥٣٠٨٢ النحوي ،عدنان علي
٢٣٧ ن ملحمة الاقصى / عدنان علي رضا النحوي .ـ ط٢ . ـ
الرياض : دار النحوي ،١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
١٨٤ ص ،١٤٠ X ٢١ سم
ردمك ١ـ٠٣ـ٦٨٧ ـ ٩٩٦٠
١. المسجد الاقصى ـ الشعر ٢. فلسطين ـ تاريخ
٣. السعوديه ـ الشعر العربي ـ دواوين وقصائد
ا. العنوان

رقم الايداع ١٤/٠٣٢٥
ردمك ١ـ٠٣ـ٦٨٧ـ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

الطبعة الثانية

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م



دار النحوي للنشر والتوزيع

ت : ٤٠١٠٢٥٧ ـ ص. ب : ١٨٩١ الرياض ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

ملحمة

الأقصى

الطبعة الثانية

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م



الإهداء

* إلى الجفون الساهرة التي تعلقت نظراتها بالمسجد الأقصى..

والنفوس الواثبة التي اشتد شوقها إلى الأرض المباركة..

والقلوب المقبلة على الله بنيتها الصادقة..

تطرق أبواب الجنة..

لتبني أمة الإسلام، وتحمي دار الإسلام،

فتعود فلسطين دار إسلام

مشرقة بالإيمان وجنوده،

طاهرة من أعداء الله وشركهم،

نقية من وثنيتهم وظلمهم.

الافتتاح

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ .

(هـود : ١١٣)

* *

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال:

«لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:
مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»

(رواه الستة والإمام أحمد)[1]

---

(١) البخاري . كتاب الجمعة فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . ومسلم في الحج حديث(١٣٩٧) أحمد :المسند: ٣/٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٢، ٧٨، ٦/٧، الفتح : ٢٣/ ٢٨٠، ٢٨١ . وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب الصلاة في المسجد الأقصى حديث (١٤٠٩)، والنسائي كتاب المساجد، باب ما تشد إليه الرحال. حديث (٧٠١).

أبيات من قصيدة:

فلق الصباح

(من ملحمة فلسطين)

فانْهضْ فهاتِيكَ الرّبى قَدْ فَوّحَتْ   بالعطر مِن عَبَق الجِهادِ المُلْهِمِ

أَمْجَادُ تاريخٍ وَوَحْيُ نُبُوَّةٍ   وجَلالُ إِسراءٍ وعِزَّةُ مُسْلَمِ

ورَفِيفُ آياتِ تَمُوج بِسَاحِها   نُوراً فيغْمُرُ مِنْ رُبىً أو مَعْلَمِ

* * *

أَمَلٌ عَلَى أَجْفَانِنَا وكُبُودِنا   وَعَلى مُحَيَّانا وفَوقَ المَبْسَمِ

أَمَلٌ كَأَنَّ الفَجْرَ في بَسَماتِه   ورفيفُه بَيْنَ الطيوفِ الحُوَّمِ

وَنَضُمُّ في أَحْنائِنا شَرَفَ الهَوَى   والشَّوْقُ بَيْنَ مُجَنَّحٍ ومُكَتَّمِ

وَمَواكِبُ الإِيمان تَجْلو نَصْرَهَا   لِتُعيدَ لأْلأَةَ الفُتوحِ اليُتَّمِ

المقدمـة

هذه الملحمـة، «ملحمـة الأَقصى» ملحمة شعرية أُقدمها لترسم مرحلة من مراحل قضية فلسطين، ولتربط واقع القضية اليوم بتاريخها الغابر، ولتربط هذا كله، الماضي والحاضر والمستقبل، بدين وعقيدة، بدين الإِسـلام، ومنهـج التوحيد والإِيمان، بالكتاب والسنّة، وبسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كتـابي «عـلى أبـواب القـدس» يستعـرض قضية فلسـطين، نثـراً وشعـراً، ليعرض منهجين: منهج النبوة ودربها إلى فلسطين ومنهج واقعنا. ثم أُقـارن واقعنـا بمنهـج النبـوة لأُبـيّن أَين الخلل في مسـيرتنـا وأَين الانحراف. وكان هذا الكتاب في طبعته الأُولى يشمل في آخره ملحمة «عـلى أبـواب القـدس»، كما كانت حين صدر الكتـاب، ولتعـرض الملحمة شعراً ما عرضه الكتاب نثراً.

ولما نمَت الملحمة وضُمَّتْ إليها قضايا جديدة، رأيتُ أَن أُخرجها في كتاب مستقل تحت عنوان: «ملحمة الأَقصى».

نهجت هذا النهج لأَني أُؤمن أَن واقعنا اليوم يحتاج إلى ذلك حاجة كبـيرة، ولأَني رأيت، كما رأى غيري، أَن قضية فلسـطين اختلطت الصور فيها، والشعارات، والأَوراق فكان لابد من عرض صورة نقيّة،

صورة إيمانيّة نؤمن بها، صورة نابعة من كتاب الله وسنّة رسوله، نعرضها مع الحجّة والبينة والبرهان من آية وحديث، وواقع لا نزوّره ولا نزخرفه، ولا نضلل به، ثم ندع القضية بين أَيدي الناس لينظروا هم أنفسهم بالعرض والحجة والبرهان. وإننا نفعل ذلك لا نرجو إلا طاعة الله وأَجره وثوابه، مخلصين النيّة له، خاشعين بين يديه، على خشية من عذابه وأمل واسع برحمته، ورغبة ملحة بجنته، هو ربي لا إله إلا هو، وحده لا شريك له، هو المولى والنصير، نعم المولى ونعم النصير.

ومع هذه الملحمة نعتبر كتاب «ملحمة فلسطين» الذي يضم نثراً وشعراً، نعتبر الكتابين يتمم بعضهما بعضا، ومعهما كتاب على أَبواب القدس، لتعرض الكتب الثلاثة قضية فلسطين العرض الذي نؤمن به، نثراً وشعراً كذلك، لتأخذ هذه القضية الخطيرة مكانتها الحقّة الهامّة في السياسة والفكر والأدب، ولتمثل بذلك نموذجاً من نماذج «الدعوة الإسلامية»، من نماذج دعوة لقاء المؤمنين، نموذجاً يدرس الواقع من خلال منهاج الله، ويردُّ القضايا الإسلامية إلى الله ورسوله، كما أمر الله فى كتابه العزيز.

وربّما يعترض أحدهم على تسمية هذا الكتاب وغيره باسم «الملحمة»، مع أن الشعر لم يبلغ أَلف بيت، ولم يبلغ عشرة آلاف بيت. وأقول بإيجاز إنه لا يوجد فى الأدب العربيّ لدينا اليوم أَيَّ نصّ يُعرِّف الملحمة وطولها وخصائصها، إلا ما اقترحته فى كتابي «الأَدب الإسلامي

إنسانيته وعالميته». وقد طرحت القضية هناك ووضعت تعريفاً مبدئياً، حتى يُثار الموضوع وتدور الدراسات، ولا نظلُّ عالةً على أَدب اليونان الوثنيِّ وفكره، ولا أدب الرومان الوثني وفكره، ولينطلق الأدب الإسلاميُّ من منطلق إيماني، على درب إيمانيّ، ليحقِّق أهدافاً إيمانية. فالمنطلق إذن مختلف عن منطلق اليونان والرومان وأتباعهم، والدرب مختلف، والأهداف مختلفة. فلابد إذن من أن تختلف الملحمة منطلقا ودربا وهدفا، وصياغة وشكلا.

ولقد دار حوار حول المطولات الشعرية والملاحم في إحدى الصحف المحلية لم يستمر طويلا، ولم ينته إلى خلاصة ونتيجة. وقد أجرت مجلة الدعوة في الرياض حواراً معي كان بعضه حول الملاحم كذلك.

ولهذا أعرض في «التمهيد» الكلمة التي بعثتها لبعض الصحف حول هذه القضية لأعرض وجهة نظري في «الملحمة»، إضافة لما سبق أن قدمته في كتابي «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته».

تضم هذه الملحمة قسمين: النثر والشعر. أما النثر فيشمل تمهيداً عن «الملحمة الإسلامية» في الأدب الإسلاميّ، الملحمة التي لم تجدْ حتى الأن تحديداً واضحاً جليّاً دقيقاً، يسهِّل مهمّة الأديب الشاعر والأديب الناقد الناصح. ومازالت كلمة «الملحمة» في واقعنا بعيدة عن معناها الذي اكتسبته من خلال تاريخ الأمة المسلمة وجهادها، ومن النبوّة وأحاديثها، ومن المعاجم وبيانها. ومازالت تحمل من ظلال الوثنية

اليونانية وفكرها وأدبها الشيء الكثير. وهذا الذي نحاول أن نتخلص منه إن شاء الله فكراً ونصّاً ونهجاً.

وجعلت الملحمة في أربعة أبواب:

البـاب الأول للنثـر ويشمل ثلاثة فصول: مع ملحمة الأقصى، ومنزلة فلسطين بين آية وحديث، والمسجد الأقصى.

أما الأبواب الثلاثة الأخرى فكانت للشعر:

فالبـاب الثـاني: الطريق إلى فلسطين بين التاريخ والحاضر، وهو يتألف من أربعة فصول كلها تحافظ على الوزن والقافية وتبلغ أبياتها (٣٧٥) بيتـاً من الشعر. الفصل الأول: النبوّة وفلسطين، الفصل الثاني: دربُ النبـــوّة إلى فلسـطين، الفصـل الثـالث: الغـارة الصليبية على فلسطين، الفصل الرابع: بين عزٍّ غابرٍ وهوان حاضر.

والباب الثالث: «أشواق النصر وحنين العودة» في (١٤١) بيتاً من الشعر تحافظ على وزن جديد وقافية جديدة، في فصلين هما: انتفاضة وحجر، في سبيل الله.

والباب الرابع: «بين كابل والأقصى» يُمثِّل جزءاً من قصيدة تدور حول الجهاد الأفغاني. اخترت منها هنا أربعة وتسعين بيتاً في فصلين هما: أفغانستان بين الشوق والنصر، نجوى في فلسطين. وهي كلها تحافظ على وزن جديدة وقافية جديدة.

وكـل فصـل من هذه الفصول يشمل عدة قصائد، لكل قصيدة

عنوان، بحيث تجمع العناوين في الفصل لتكون وحدة الفصل وموضوعه، وتلتقي عناوين الفصل لتكوِّن وحدة الباب وموضوعه، وتلتقي عناوين الأبواب الشعرية الثلاثة لتكوّن الوحدة الشعرية لموضوع الملحمة. فالباب الثاني: «الطريق إلى فلسطين بين الماضي والحاضر»، ينتهي بواقعنا اليوم، الذي يثير حنين العودة إلى فلسطين وأشواق النصر فيها، فيرتبط بذلك بالباب الثالث «أشواق النصر وحنين العودة». وهذا الباب بفصوله وقصائده المختلفة يتلفَّت إلى العالم الإسلامي لترتبط القضية بالأمة المسلمة، ولننظر إلى قضاياها كلها من خلال النظرة الإيمانية لواقعنا اليوم فنجد في واقعنا الجهاد الأفغاني وما يحمل من معانٍ تربط قضايا المسلمين، وتربطه هو بقضية فلسطين، فجاء الباب الرابع ليعبّر عن هذا الارتباط: «بين كابل والأقصى».

هذا هو امتداد «ملحمة الأقصى» إنها ممتدّة امتداد العالم الإسلامي، امتداد فكر وعقيدة، وامتداد دعوة وجهاد وامتداد دار وأرض. وإذا كانت هذه الملحمة تعبّر عن هذا الامتداد في أبياتها الشعرية، وفي فصولها وأبوابها ومعانيها، فإنها تعبّر عن هذا الامتداد ببنائها كذلك، حتى يكون هذا الامتداد جزءاً رئيساً في التصوّر الإيماني الذي تطرحه هذه الملحمة.

ونعتقد أننا نكون قد حققنا في هذه الملحمة «الشعرية» العناصر الخمسة التي عرضناها في كتاب الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته،

والشروط التي عرضناها في «التمهيد» أثناء حديثنا عن «المطولات الشعرية والملاحم».

كما نعتقد أننا نكون قد طوّرنا «الملحمة» في إطارالقواعد التي عرضناها تطويراً واضحاً، عند مقارنة «ملحمة الغرباء» وهذه «الملحمة»، ونكون قد قدّمنا خمس ملاحم على الأقل تمثل نماذج متطورة نامية، إن شاء الله، بالإضافة لما يمكن أن يكون من «ملاحم» في ديوان الأرض المباركة، وديوان جراح على الدرب.

ونكون بذلك قد طرحنا تصوّراً نظريّاً للملحمة في الأدب الإسلامي، ونماذج تطبيقية عملية.

وفي ختام هذه الكلمة أحمد الله سبحانه وتعالى حمداً كثيراً، واستغفره وأتوب إليه، وأسأله العون والتثبيت. والسداد والرشاد، والقوة والعزيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

عدنان علي رضا النحوي

الرياض: ١١/٧/١٤١٢هـ

١٥/١/١٩٩٢م

بين المطولات الشعرية والملاحم في أدب الإسلام

دار حوار أدبي في بعض الصحف المحلية حول الملاحم وحول المطولات الشعرية، أسهم فيها بعض الأُدباء بآرائهم التي امتدت بين المؤيد للمطولات والملاحم وبين المعارض والمنابذ.[1]

وجاء في ثنايا الحوار مصطلحات وتعبيرات، كالملحمة مثلا، دون أن يكون هناك معنى محدد أو تعريف مقرر يسهِّل على الأُدباء وضوحَ الحِوار، ويسهِّل على القارىء حُسْنَ التقدير، ويوفّر في ساحة النقد الأدبيّ قواعد راسخة لا تهتز في أعاصير الخلافات. المطوّلات والملاحم تعبيران ينتظران التحديد والتعريف.

ولا يقتصر الأمر في أدبنا اليوم على هذين المصطلحين العائمين، فهنالك مصطلحات أُخرى مازالت تحتاج إلى تحديد وتعريف، أو إلى توضيح وتدقيق، أو اتفاق ورضا. وغياب ذلك سيطيل الحوار دون أن ينتهي إلى نتيجة مثمرة. ولقد رأينا الخلاف حول مصطلح «الأدب

(١) المسلمون العددان: ٢٧٥، ٢٨٠، مجلة الدعوة للعددان: ١٢٥٠، ١٢٥٢ في ٤ محرم ١٤١١هـ، ١٨ محرم ١٤١١هـ، وقد أسهم في هذا الحوار: الدكتور مأمون فريز جرّار والدكتور محمد حلمي القاعود والدكتور عدنان علي رضا النحوي.

الإسلامي»، وإن كان هذا الخلاف ينحصر في المصطلح نفسه أكثر مما هو في دلالته وحقيقته.

ما هي «المطوّلة الشعرية»؟! ما هي حدودها؟! وعلى أي أساس فنيٍّ أو علمي يقوم ذلك؟!

ما هي «الملحمة الشعرية»؟! ما هو تعريفها المتفق عليه؟! وعلى أي أساس يجب أن ينهض التعريف؟!

أشعر أن كثيرين من الناس تحمل ألسنتهم اللفظة العربية «الملحمة»، ولكن القلوب والعقول تحمل لها التراثَ اليوناني والمعنى اليوناني والظلالَ اليونانيّة، حتى كادت كلمة «الملحمة» تفقد معناها العظيم الذي حددته المعاجم العربية، والذي حددته أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكأنَّ كلمة «الملحمة» أصبحت تدلّ غالباً على شيء واحد أساسي هو القصيدة الطويلة، دون أن يكون لهذا الطول تحديد. وبهذا التصور لم تعد تحمل كلمة «الملحمة» مدلولاً فنّياً من حيث التركيب أو الموضوع أو الأُسلوب أو الصياغة الفنية والألفاظ وغير ذلك. وأصبح الشاعر لا يجد أمامه قواعد فنّيَّة يلتزم اتباعها لبناء ما نتوهمه أو ما نسمِّيه «بالملحمة»، إلا شبح الطول غير المحدد، الطول الذي أصبح موضوع الخلاف والحوار، وموضع القبول والرفض. وقد حملت بعض الصحف رأياً يشير إلى أن الملحمة يجب أن لا تقل عن ألف بيت، وكان هذا هو محور الأساس النقدي الذي عرضته الصحيفة

لفكرة الملحمة. وربما رأى آخرون أنها يجب أن تكون عشرة آلاف بيت أو أكثر.[1]

يبدو أن كلمة «ملحمة» جاءت ترجمة للكلمة اليونانية (Epic) وأصبحت هذه اللفظة العربية الفنية تحمل ظلالاً يونانية وافدة من طبيعة اللغة اليونانية وتاريخ اليونان ووثنية اليونان، وأصبحت هذه الظلال تضغط ضغطاً شديداً على فكرنا وأدبنا ومصطلحاتنا.

إن كلمة (Epic) ذات الأصل اليوناني تعني قصة شعرية طويلة ذات إسلوب عالٍ تدور حول أعمال خرافية لبطل خرافي، أو لبطل تاريخي ترفع القصة الشعرية لتحارب أو تتحارب، ولتعشق وتخوض من أجل عشقها صراعاً. ولقد ابتدأ هذا المنحى الشعريّ قديماً في تاريخ اليونان، ثمّ أخذ ينمو ويترعرع في جو الوثنية اليونانية، الوثنية التي امتدت إلى جميع نواحي حياة اليونان: من فكر وأدب وفلسفة. وفي

(١) مقالة الدكتور حلمي القاعود حول المطولات الشعرية في «المسلمون» العدد (٢٧٥) - للسنة السادسة. ومقالة الدكتور مأمون فريز جرار حول الموضوع نفسه في العدد (٢٨٠) من السنة السادسة. ومقالتيّ كذلك في «المسلمون» بعنوان: «الفرق بين المطوّلات الشعرية والملاحم» في العدد (٣٠٠) - «المسلمون» - تاريخ ١٥ ربيع الآخر ١٤١١هـ، الموافق ٢ نوفمبر ١٩٩٠م، والعدد (٣٠٢) منها للسنة السادسة أيضاً تاريخ ٢٩ ربيع الآخر ١٤١١هـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٩٠م - ثم كلمتي حول هذا الموضوع في مجلة الدعوة السعودية في العدد (١٢٥٠) - ٤ محرم ١٤١١هـ والموافق ٢٦ يوليو ١٩٩٠م، والعدد (١٢٥٢) بتاريخ ١٨ محرم ١٤١١هـ الموافق ٩ آب (أغسطس) ١٩٩٠م.

القرن التاسع ق. م. قدّم الشاعر اليوناني «هوميروس» قصتيه الشعريتين الأسطورتين الطويلتين: «الإلياذة» و«الأُديسًا»، وهما تدوران حول حروب طروادة، وتحملان الخصائص التي ذكرناها والتي نوجزها بما يلي:

١ ـ قصة شعرية.

٢ ـ تعرض البطولات الخرافية والمعجزات الوهمية من خلال فكر وثني واضح في وثنيّته.

٣ ـ للآلهة اليونانية المدَّعاة دور فيها.

ولذلك جاء زمن ثار بعض المفكرين والأدباء اليونانيون ضد «هذه الآلهة» وضد هذا الدين المرتبط بها، ودار صراع بين الشعراء والفلاسفة استغرق مساحة واسعة من تاريخ اليونان وفكرهم وأدبهم. حتى إن الذين وقفوا بجانب الدين من الشعراء، مثل «أريستوفان»، لم يخل إنتاجه من شكٍّ في ذلك الدين واتهام له.

ولقد احتلت هاتان القصتان الشعريتان الاسطوريتان، الإلياذة والأديسا، مكاناً عالياً عند اليونان، ثم عند الرومان، ثم في الفكر الأوروبي كله، الذي كان يعتبر أدب اليونان وفكرهم هو المثل الذي يحتذى، وهو الأساس الأول للمذهب الكلاسيكي. ولا عجب في ذلك، حيث لم تكن أوروبا بعيدة عن الوثنية حتى في ظل ازدهار النفوذ المسيحي، في عهد الامبراطور قسطنطين الروماني وغيره. ومازال حتى يومنا هذا أثر واضح لإجلالهم للفكر اليوناني الوثني. وفي

محاضرةالدكتور نجم الدين أربكان التي قدمها مؤخراً في مؤسسة الملك فيصل[1]، قدَّم صورة لإعلان أصدرته شركة «توشيبا» تقول فيه إن حضارة اليوم تعود في جذورها إلى «الفرعونية»، التي نشأت عنها الحضارة اليونانية. إنهم يلحّون إذن على ربط حضارتهم وأعمالهم بكل جذور الوثنيّة والإلحاد، فما بالنا نجري لاهثين وراءهم، ولا نربط حضارتنا وأدبنا وفكرنا بالتوحيد.

هذا بالنسبة للكلمة (Epic) ذات الأصل اليوناني (Epikos) . فما هي كلمة الملحمة وما جذورها وظلالها ومعانيها؟! في المعاجم العربية نجد هذه المعاني: الوقعة العظيمة في الفتنة، الحرب ذات القتل الشديد. وفي قولهم: نبيُّ الملحمة قولان أحدهما نبيُّ القتال كقوله في الحديث الآخر «**بعثت بالسيف**». والثاني نبيّ الصلاح وتأليف الناس، كأَن يؤلّف أمر الأمة. وقد « لَحَم الأمر» إذا أحكمه وأصلحه. و «أَلحمتُ القوم» إذا قتلتهم حتى صاروا لحماً. والملحمة أيضاً موضع القتال. وقال ابن الأعرابي: «الملحمة حيث يقاطعون لحومهم بالسيوف». فالملحمة في المعاجم إذن مرتبطة بالقتال الحقيقي الشديد، لا قتال

---

(١) الدكتور نجم الدين أربكان رئيس حزب السلامة الإسلامي في تركيا سابقاً ورئيس حزب الرفاه حالياً، وكان عضواً في المجلس الوطني للفترة (١٩٦٩م - ١٩٨٠م)، وشغل منصب وزير للدولة، ومنصب نائب لرئيس الوزراء.

وكانت محاضرته بعنوان: المسلمون والتكتّلات العالمية في مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض يوم الاثنين في ١٨/١١/١٤١٠هـ الموافق ١١/٦/١٩٩٠م.

الوهم والخرافة، ومرتبطة بأرض القتال، ومرتبطة بالنبوة، وبالإصلاح وتأليف أمر الأمة.(١)

ولننظر في أحاديث رسول ﷺ. ففي الحديث الشريف عن فتح مكة يرد: «.... **فقال سعد بن عبادة يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة..**».(٢) وفي حديث آخر عن جبير بن نضير عن الهدنة بين المسلمين والروم يقول جبير: «... **فعندئذ تغدر الروم وتجمع للملحمة**».(٣) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال ثم ضرب بيده على فخذ محدثه أو منكبه ثم قال: إن هذا لحق كما أنك ها هنا أو كما أنك قاعد. يعني معاذ بن جبل**».(٤) وعن معاذ رضي الله عنه أيضا: «**الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر**».(٥) وعن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج**

---

(١) معاجم: لسان العرب، تاج العروس، الصحاح، قاموس المحيط.

(٢) البخاري كتاب المغازي (٦٤). باب (٤٨).

(٣) سنن أبي داود حديث رقم (٤٢٩٢).

(٤) سنن أبي داود رقم (٤٢٩٤).

(٥) سنن أبي داود رقم (٤٢٩٥).

المسيح الدجال في السابعة» .(١)

وقد جعل أبو داود في سننه فصلاً سماه «كتاب الملاحم». وما لجأ أبـوداود في هذه التسمية إلى مصـادر أجنبية، ولاخضع لضغوطها وسلطانها

فهـذا مدار «الملحمة» وظلالها في أحاديث رسول الله ﷺ، حيث نجد أنها تتحدث عن وقعة قائمة، لا وهم فيها ولا خيال، مثل فتح مكة، أو أنها تتحدث عن الغيب من أمر الأمة المسلمة مما هو حقٌّ لا ريب فيه، ولا تختلط بالخـرافـات والـوهم، ولا بالآلهة المتعددة، ولا بالوثنية كلها.

من هنا نجد أَنَّ ارتباط كلمة «ملحمة» هو ارتباط بالنبوة، ارتباط بالتوحيد ورسالته، ارتباط بأمة التوحيد، ثم هو ارتباط باللغة العربية. فلم ترد الملحمة في هذه الاستعمالات كلها مرتبطة بالشعر من قريب ولا بعيد، ولكن الكلمـة (Epic) مرتبـطة بالشعـر، فأساس معناها قصة شعرية. ولم تأت كلمة ملحمة مرتبطة بخيال ووهم وخرافة، بل جاءت مرتبطة بواقع صادق وغيب صادق. ولكن كلمة (Epic) مرتبطة بالخرافة والوهم. وارتبطت كلمة «ملحمة» بالنبوة والتوحيد. أما كلمة (Epic) فمـرتبـطة بجـذور معانيها وظلالها بالوثنية اليونانية، ثم ارتبطت مع التاريخ بأشكال متعددة من الوثنية.

فمع هذه الفروق الواسعة في معاني اللغة، وفي الأصل والمنشأ، وفي

---

(١) سنن أبي داود رقم. (٤٢٩٦).

الاستخدام والاصطلاح، وفي الظلال والدلالات، أعجب كيف جازت هذه الترجمة، وكيف تناسى الذين ترجموا كلمة (Epic) هذا الزاد الغنيَّ العظيم الذي تحمله لفظة «الملحمة» في لغتنا وتاريخنا وديننا، زاداً يختلف عن زاد اليونان كما يختلف التوحيد عن الوثنية. إن لفظة «الملحمة» أعزّ من أن تختلط بذلك الخليط العجيب!. فليبحثوا لهم عن ترجمة أُخرى «كالأسطورة»، ولتمض ملحمتنا مستقلة عنهم.

فإذا أردنا أن نبني «الملحمة الشعرية» في الأدب الإسلامي، فإن أمامنا شرطين أساسيين يجب أن نحقِّقهما أولاً:

١ - أن نطهِّر كلمة «الملحمة» الكلمة العربية الغنيّة، أن نطهرها من أوهام اليونان الفكرية ومن وثنيّتهم، ومن شروطهم الفنيّة.

٢ - أن ينبثق تصور «الملحمة الشعرية» في أدبنا من طبيعة اللغة العربية والشعر العربي، ومن تاريخنا الصادق، ومن ديننا وعقيدتنا، من حقيقة الأمة المسلمة، أمة التوحيد، ومن رسالتها، لتحمل خصائصها الذاتيّة، لا خصائصها المستوردة، ولتنمو «الملحمة الشعرية» نموَّها الطبيعي، في جوها الطبيعي، وهوائها وريها وغذائها، تدفعها مواهب الأمة الحقيقية.

وإذا كانت اللغة اليونانية تسمح بقصيدة تتجاوز الآلاف من الأبيات، وإذا كانت موضوعات الخيال المتفلّت في أجواء الوثنية يمكن أن يطوف في موضوعات خرافية تحتاج إلى آلاف الأبيات، فإن طبيعة

اللغـة العـربية وطبيعة شعرها من ناحية، وكذلك موضوعات تاريخنا وواقعنا ومستقبلنا من ناحية أُخرى لا تتطلب هذه الإطالة في «الملحمة الشعرية». إن تاريخنا وواقعنا ومستقبلنا يتبرأ من الخرافة والوهم، ويظلُّ كلُّه موجهاً برسالة الصدق والحق، برسالة التوحيد، لينمو في جوها وميدانها.

لسنا بحاجة إلى الآلاف المؤلفة من الأبيات الشعرية لنطرق موضوعاً من موضوعات تاريخنا أو واقعنا أو مستقبلنا. إني أشعر أننا نرهق الموهبة الشعرية، ونتطلب منها ما لسنا بحاجة إليه، عندما نفرض عليها أن تقدِّم ما لا تحتاجه الموهبة واللغة والواقع، وما لا حاجة للأدب فيه. ولكننـا بحاجة مع ذلك كله إلى «الملحمة»، إلى الملحمة التي تنمو في بيئتنا، إلى الملحمة التي تتناسق وخصائص اللغة العربية وطبيعة الشعر العربيّ. فإذا كان لدى اليونان عوامل خاصة في خرافاتهم ولغتهم تسمح بهذا الطول الكبير الذي ينشر الفكر الوثني، ففي اللغة العربية وآدابها عوامل أُخرى تتحكم في الطول. فالذي يحدِّد طول القصيدة عوامل عدة: الموضوع نفسه. فالقصيدة عن الجهاد الأفغاني لا يُعقل أن يكون طولهـا مثـل طول القصيدة التي تتحـدث عن وصف وردة مثلاً. فالموضوع وأهميته وامتداد مساحته في تاريخ الأمَّة وواقعها يؤثر حتماً في امتـداد القصيدة وطولها. وكذلك قدرة الشاعر الفنية واستطاعته على المحافظة على مستوى الجمال الفنيّ المؤثر، مع امتداد القصيدة دون أن يضـطر إلى هبوط مفسد، تؤثر كذلك على طول القصيدة. إن طول

القصيدة لا يُحدِّده هوى الشاعر. فالشاعر لا يقول ابتداءً أُريد أن أبلغ ذلك العدد المحدد من الأبيات. إن الشاعر ينطلق في قصيدته حتى يشعر أنه أتمَّ اللوحة الفنية التي يريدها بكامل مناظرها وألوانها وتناسقها. هناك يقف الشاعر وينتهي من قصيدته مهما بلغ معه طولها. إلا أن يكون الشاعر ناظماً فقد يلزم نفسه دون مسوّغ فني بعدد محدد من الأبيات، وهذه ليست موضوع حديثنا.

ولا ننكر أن عدداً غير قليل من الجامعات في العالم الإسلامي غرس التصور اليوناني لهذا اللون من الشعر، من خلال دراساتها الجامعية، ومن خلال ما تحمله المناهج ودراسات الأُدباء ومباحث النقد الأدبي من تقدير مُبالغ فيه غير عادل لذلك اللون من الشعر الاسطوري. ولكنه آن الأوان لمراجعة حساباتنا وردِّ الأُمور إلى ميزان لغتنا وعقيدتنا وتاريخنا، وإلى ما نحتاجه حقيقة وما لا نحتاجه.

وأعود أؤكد اتفاقي مع الدكتور القاعود بخصوص المطوّلات الشعرية التي تحمل خصائصها من اللغة العربية ومن عقيدتنا ومن تاريخنا، على أن نضع لهذه المطولات مدلولاً فنياً محدَّداً. وهنا أميل إلى اعتبار هذه المطولات هي الملاحم الحقيقية إذا كانت موضوعاتها ملحمية حقا، وإذا تحددت خصائصها الفنية بشكل واضح جليّ.

من هذا التصور قدمت تعريفاً مبدئياً للملحمة الإسلامية في كتابي «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته» دون أن أعني أنه هو التعريف

النهائي. ولكني قصدت إلى طرح الموضوع وخوض محاولة التعريف على أساس من القواعد التي ذكرتها.

لقد حددت العناصر الرئيسة التي أراها للملحمة الإسلامية بخمسة عناصر: الحجم، الموضوع، الزمن، أجزاء الملحمة، الهدف. وإن كنت أود أن أُضيف شيئاً جديداً على ذلك الذي قدمته فهو أني أرى أن الملحمة لن تزيد عن مئات محدودة من الأبيات إذا حافظت على الوزن والقافية. وكذلك فإنه يمكن تقسيم هذه الملحمة إلى عناوين جانبية تساعد القارىء على جمع الموضوع ووعيه، وتضيف شيئاً من الحركة والحياة، وسهولة التفاعل والتأثر. بهذا الحجم الأقصى نكون قد وافقنا بين طبيعة الشعر العربي، وبين إطلاق القدرة الشعرية في ميدان منتج ومُجِيد. ولكن يمكن تجاوز هذا الحجم إذا كانت الملحمة تمثل مجموعة قصائد طويلة أو متوسطة تختلف في الوزن والقافية، ولكن تدور حول قضية ملحمية واحدة. ولابد في جميع الحالات من تحديد الحدِّ الأدنى لأبيات الملحمة، الحد الذي أعتقد أنه يمكن أن يكون بين ثمانين بيتاً من الشعر إلى مائة بيت مثلاً، ولكنَّ الموضوع الملحمي على أُسس اللغة العربية والعقيدة هو الذي يجب أن يحدِّد منطلق «الملحمة الشعرية»، وأن يحدد خصائصها الفنيّة الأُخرى، أكثر من قضية الطول التي يجب أن يتوقَّف شبحها اليونانيّ.

إن هذا التحديد الذي قدّمته يمثل محاولة لطرح القضية وللنموّ بها.

ذلك لأني أُؤمن بضرورة إطلاق الموهبة الشعرية المؤمنة لتمارس حقَّها في التجربة والنمو، وفي عرض قضايا الأمة، في ميدان تستطيع أن تجول فيه جولات حقيقية، وتستطيع أن تنتج فيه إنتاجاً مثمراً، دون أن تُرهق بمحاولة ما لا جدوى منه، وما لا طاقة لها به، إلا على حساب معاناة شديدة ينسحب منها الكثيرون دون أن يقدموا للأمة ثمراً نامياً مع الأيام، موصولاً مع الزمن، غنيّاً بمستواه من الجمال الفني.

وأعود وأُؤكد أن طبيعة اللغة العربية والشعر العربي، وكذلك موضوعات الحقائق والواقع والصدق، لا تستدعي امتداد الطول في الملحمة كما امتدت عند هوميروس في الوهم والخرافة والمعجزات، وفي اللغة اليونانية. قصتان شعريتان قدمهما هوميرس، ومجدّهما أرسطو، وغنتهما أوروبا، كل ذلك من بواعث أقرب إلى الوثنية، أو هي الوثنية، ثمَّ أخذنا نلهث وراءهم نتتبع هاتين القصتين الشعريتين الخياليتين، دون أي مسوّغ لنا، إلا التبعية غير الواعية.

وإني إذ أُقدِّر قيمة الحوار الذي دار هنا أو هناك، دون أن نخرج بنتيجة أو رأي يتفق عليه للبناء والعمل، فلابد أن أُبين في ختام هذه الكلمة أن الذي نلحُّ عليه ونصرّ هو أننا يجب أن نبني أدباً ينبع من التوحيد، مستقلاً عن الوثنية، يرتوي من منهاج الله قرآناً وسنة، ليكون سلاحاً صادقاً نخوض به معركتنا اليوم. فإننا أمة كتب الله عليها أن تخوض معركة حقيقية لا وهمية، وملاحم صادقة لا خرافية، وأن تدفع

في التاريخ البشريّ بطولات واقعية عبقرية، لا بطولات خيال ووهم. ولابد لأدبنا الإسلامي من أن يصوغ هذه الملاحم الصادقة في ملاحم شعرية، تحمل خصائص لغتنا وتاريخنا وإيماننا، وتنطلق بها المواهب المؤمنة مستقلة عن التبعيّة المضلّة.

وستظل كلمة «الملحمة» محتفظة بمعانيها التي قدمتها المعاجم واستخدمتها النبوة الخاتمة، سواء أأقمنا الملحمة الشعرية أم لم نقمها، وسواء أتفقنا أم لم نتفق، وستظل الملاحم في أرض الإسلام دائرة في الفلبين والهند وأفغانستان وفلسطين وأرتيريا وسائر أجزاء العالم الإسلامي، فإذا لم نقدم الملحمة الشعرية فإن ملحمة الدم ماضية لا تنتظر الأدباء، وإنما على الأدباء الشعراء ورجال الفكر والكلمة أن يلحقوا بها إذا شاءوا.

نحن المسلمين أهل الفكر الحق وأصحاب الرسالة الحق، العالم كله بحاجة إلى رسالتنا ودعوتنا وديننا. العالم كله بحاجة إلى أدبنا وملاحمنا أكثر مما نحن بحاجة إلى أدبه وملاحمه. فلنشعر بالعزّة الصادقة ولنرتفع إلى مستواها الحق.



صورة تاريخية نادرة للمسجد الأقصى المبارك قبل حدوث جريمة احراقه النكراء.

يَا لَوْعَـــةَ الأَقْــصَــى! وَدَوَّتْ صَرْخَــةٌ
يَطْوِي صَدَاهَــا ذِلَّــةٌ وَهَــوَانُ

الباب الأول

نـــداء فلسطيـــن
ووفـــاء الملاحـــم

الفصل الأول

مع ملحمة الأقصى

حنين إلى فلسطين لا ينقطع، وشوق إلى طلائع النصر لا يتوقف، وآمال تموج في القلوب لا تهدأ! وأجفان وقلوب تعلّقت بالمسجد الأقصى.

كيف لا؟! وهي أرض باركها الله وجعلها حقّا خالصاً للإسلام وأهله، أمانة في أعناق المسلمين إلى يوم القيامة، يُحاسَبُون كلُّهم على مدى الوفاء بها!

انطلقت كتائب الإيمان مهاجرة إلى الله ورسوله من مكة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة، لتكون هذه البلدة الطيبة قاعدة الدعوة ومنطلقها إلى الجهاد في سبيل الله. وكانت فلسطين أول الأمر هي القبلة، لتصبّ أنظار المسلمين على المسجد الأقصى، وليصبح المسجد الأقصى وفلسطين جزءاً من رسالة ودين، وهدفاً جليا من أهداف الإيمان.

وكان الإسراء من المسجد الحرام بمكة المكرّمة إلى المسجد الأقصى في فلسطين. وكان الإسراء بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ليرسم الإسراءُ الصورة الأمينة للمسجد الأقصى ولفلسطين، وليعلن أَمْرَ الله

أن فلسطين كلها هي حق الإسلام على مدى الدهر. فيؤم محمد ﷺ الأنبياء في المسجد الأقصى، فتشرق هذه الإمامة على الدنيا لتقول إن المسلمين أمةٌ واحدة من دون الناس، وإن الأنبياء كلهم مسلمون، جاءوا برسالة الإسلام لا بغيرها، وإنهم يسلِّمون هذه الأمانة، المسجد الأقصى، لخاتم الأنبياء ولأمة الإسلام من بعده، حقّاً خالصاً لهم نابعاً من إيمان وعقيدة، ودين ورسالة :

فما كان إبـراهيم إلا مُصَدِّقاً ... بأَحمَـدَ براً عاطـراً بالبشـائـر
ورتّـلهـا داودُ نصْـحَ نُبُـوَّةٍ ... ورجَّـعَ تحنـانـاً وخَفْقَ مزامِـرِ
وصَـانَ سُليمانُ الحكيمُ أَمـانـةً ... لأَحْمَـدَ يُوفِـيهـا نديّة شاكـرِ
أُولئك ما ساسوا الدِّيار بعِرْقِهم ... ولا ملكـوهـا جاهـليّة سادِرِ
ولـكنهـا كانت صفيّ أَمـانـة ... وعَهْـداً يُؤدَّى بعـد حينٍ لقـادرِ
ورفّت على عيسى النبوّة والتقتْ ... على ساحـة الأقصى شفوفُ بَصَائِرِ
فأَمّـهـمُ المـختـار أَحمـدُ سيِّداً ... ليجمع من ماضٍ زكيٍّ وحاضِرِ
وَيُمضي على الأَيام دعـوةَ ربّـه ... جهـادَ ميامـين ونفـح أزاهِـرِ
وتتصـل الأزمـان بين طيوفهـا ... نبـوّة إسْـلامٍ وصـدْقُ أُواصِرِ
ويصبـح للإسلام ملك ربوعها ... وعَهْـداً أمينـاً لا يُرَدُّ لفـاجـرِ
فذلـك إرث الأنـبياء ديارهم ... مرابـع توحيدٍ وخفق منـابـرِ[1]

* *

(١) ديوان موكب النور. من قصيدة «رحلة الموت».

هذه هي النبوّة، كُلُّها نبوة رسالة واحدة هي رسالة الإسلام، نبوّة يبعثها ربٌّ واحد، هو الله سبحانه وتعالى، ربُّ العالمين وربّ العرش العظيم، لا إله إلا هو لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. جاء الإسراء ليعلن أن الأنبياء كلهم يُقرون بنبوة محمد ﷺ، وهذا الإقرار كان نابعاً من الميثاق الذي أخذه الله من كل نبيٍّ أن يؤمن بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (آل عمران: ٨١، ٨٢).

عَهْدٌ وميثاق! عهد أخذه الله من النبيّين كلهم حتى أصبح جزءاً من رسالة كلِّ نبيّ إلى قومه، عهد ماضٍ مع الدهر، وميثاق لا انفكاك منه أبداً، فلا ينفكُّ منه إلا الفاسقون الذين خانوا العهد والميثاق، وأشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانا، فظلموا أنفسهم بشركهم، وظلموا الناس بعُدوانهم: ﴿**فمن تولَّى بعد ذلك فأُولئك هم الفاسقون**﴾.

وانطلقت كتائب الإيمان من المدينة المنوّرة تدفعها النبوّة على النهج الحق والطريق المستقيم والأهداف المجلوّة. فأَعزّها الله بنصره في الجزيرة العربية حتى دانت كلها لكلمة التوحيد ورسالة الإيمان ودعوة

الإسلام ورزقها الله برحمته جنوداً أبراراً، ينتقلون من نصرٍ إلى نصر :

هنالك النصرُ! في ميدانه فُتحت إلى الهُـدى سُبُـلٌ لولاه لم تُصَب

مواكـبُ رفَعَتْ في كلِّ معــركــةٍ راياتهـا خافقـاتِ العـود والعَذَبِ

عرائسَ المجد! عودي كُلّ ناحِيَةٍ أضحت بذكراك مغنى المنزل الخَصِب

عودي فمغنـاك ريان على وصَب من الهوى شيق الأكناف والكثب[1]

وانـطلقت كتـائب الإيمان على نهجهـا الحقِّ وأهـدافها الصادقة، أهـدافهـا الـربّانيّة، لتحقّق النصر بعد النصر فضلاً من الله وحدَه، ولتمضي خارج الجزيرة العربية تنشر النور وتدعو البشرية إلى هذا الخير العـظيم. ومضت كتـائب الإيمان في عدة اتجاهات تحمل رسالة الله وتـدعـو النـاس إليهـا. وكان من هذه الاتجاهات الدرب الممتد إلى فلسطين، إلى المسجد الأقصى.

وكانت غزوة «مؤتة» أو سريّة «زيد بن حارثة» في جمادي الأُولى سنة ثمانٍ للهجرة. وكانت أول منازلة مع الروم. كان جيش المسلمين ثلاثة آلاف من جنود الإيمان، يقودهم زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان جيش الروم مائة ألف من الروم ومائة ألف من لخم وجذام وبهراء وبلى يقودهم هرقل. ومع أنه استشهد زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبـدالله بن رواحة رضي الله عنهم جميعاً، وهم يجابهون هذا الحشد

---

(١) من ديوان موكب النور، قصيدة «عرائس المجد».

الهائل من أعداء الله بعدد قليل منهم، إلا أنهم ثبتوا يطلبون الشهادة والأجر، حتى استطاع خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يأخذ الراية ويعود بالجيش إلى المدينة عودة فتح من عند الله:

عن أنس رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم. فقال: «**أخذ الراية زيد فأُصيب ثم أَخذ جعفر فأُصيب ثم أَخذ ابن رواحة فأُصيب وعيناه تذرفان حتى أَخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**».

(رواه البخاري).[1]

وسُمِّي «خالدُ بنُ الوليد» منذ ذلك اليوم «سيفَ الله». إنه سيف الله الذي منّ الله عليه بهذا الفتح فنجا جيش المسلمين وعاد جيش الروم بحشده الهائل لم يصب هدفاً. ولابد من أن نذكر هنا أن المسلمين توجَّهوا إلى مؤتة لصدّ الروم والذين حشدوا حشودهم. وكان الفتح أن صدُّوهم وعاد الروم دون أن يبلغوا مأربا أبداً بفضل الله ورحمته.

هذا البنيان المرصوص، هذا الصفّ الواحد من المؤمنين، هذه الأمة المسلمة المتماسكة هي التي منَّ الله عليها بالفتح. لقد كانت قلوب المؤمنين متجهة إلى ربّها وخالقها، صادقة معه، نقيّة من لوثات الجاهلية وشوائب الشهوات، مقبلين على الله يطرقون أبواب الجنة ويطلبون الشهادة!

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي (٦٤) باب (٤٤).

وامتـد زحف المؤمنـين حتى كان بعث «أُسامة» في شهر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة إلى تخوم البلقاء حيث كان أُصيب والد أُسامة وسائر من أُصيب من الصحابة الأبرار. وعاد أُسامة من غزوته سالماً وغنم خيراً كثيراً.

ومضى المؤمنون على دربهم، أُمة واحدة علي عهدها مع الله ربِّها، وولاؤها لله رب السموات والأرض. وكانت معركة اليرموك في السنة الثالثة عشرة من الهجرة. وكان تعداد جيش الروم قرابة مائتين وأربعين ألفا، منهم ثمانون ألفاً مسلسلون بالحديد حتى لا يفرّوا. وكان جيش المؤمنين ستة وثلاثين ألفاً عروتهم الإيمان والتوحيد والصدق، والحبال التي تشدهم هي التقوى. فرزقهم الله النصر المبين، وأَسلم أحد قادة الـروم «جُرْجَه» وسقط في المعركة بعد أن صلى ركعتين لله، وبعد أن انتقل إلى صفّ المسلمين يقاتل معهم.

ثمَّ كانت جولة «فِحْل» قرب «بيسان» على أرض فلسطين في السنة الثالثة عشرة من الهجرة. وكان «شرحبيل بن حسنة» قائِد المسلمين. ورزق الله المسلمين النصر المؤزر، وسقط من الكافرين ما يزيد على ثمانين ألف قتيل. ثم توجّه شرحبيل بن حسنة ومعه عمرو بن العاص إلى بيسان ففتحها الله لهم.

وقـاد عمرو بن العاص جيشاً زحف به حتى بلغ الرملة فى السنة الخـامسـة عشرة من الهجرة. وحاول «أرطبون» قائد الروم أن يخدع

عَمـراً رضي الله عنه، فأعزّ الله المسلمين وأنجاهم من مكر الأرطبون بما فتح الله على عمرو بن العاص. ولما دار القتال عند أجنادين نصر الله المسلمين نصراً عزيزاً.

وقـاد أبو عبيدة بن الجراح الزحف إلى إيلياء، القدس. وكتب أبو عبيدة إلى أهـل إيلياء يدعـوهم إلى الله ورسـولـه وإلى الإسلام، أو يبذلوا الجـزية، أو يأذنـوا بحرب. فحاصر بيت المقدس حتى طلب أهلها الصلح والاستسلام، على أن يحضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنـه. فحضر عمـر بن الخطاب وكتب لهم كتاب أمان وصلح، وفرض عليهم الجزية واشترط عليهم شروطاً، كان من أهمها: «. . **ولا يُسْكِنُون بإيلياء معهم أحداً من اليهود. . . ، وعليهم أن يُخرِجُوا منها الروم، واللصوت. . .**»[1] وكذلك جاء في هذا العهد: «. . . وأن على هذا الكتاب عهدَ الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمَّة المسلمين إذا أعطى أهل إيلياء الجزية التي عليهم» عهد ماضٍ في ذمة المسلمين، فهم أهل العهد، وهم الذين أرادهم الله أن يكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيداً. هم الذين يحملون مسئولية الوفاء بهذا العهد ما أوفى أهل إيلياء عهدهم. وهذا العهد يشترط أن يخرج من فلسطين فئات ثلاث: اللصوص، والروم، واليهود.

---

(١) تاريخ الطبري. ج ٣ ص (٣٠٥). طبعة مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر (ط ٢) ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، المجلد الثاني. واللصوت: هم اللصوص.

هذا هو عهد الله، وهذه هي ذمة المسلمين، فما بال بعضهم اليوم يبحث عن مواءمة الديانات الثلاث، ويبحث عن حقوق مزعومة لليهود في فلسطين، ويسعى ليتنازل عن بعض فلسطين أو كلها لليهود؟

دخل عمر بن الخطاب القدس يوم الخميس في (٢٠) ربيع الأول سنة (١٥) للهجرة الموافق (٢) آيار (مايو) سنة (٦٣٦م). وبعد هذا الفتح غير المسلمون اسم إيلياء إلى اسم «بيت المقدس».

ويمضى التاريخ وتمضى سنّة الله فى خلقه ابتلاءً وتمحيصاً. وامتدت القرون حتى ضعف العالم الإسلامي، ووجد أهل المطامع في أوربا فرصة يستغلون فيها الدين النصراني لتحقيق أطماعهم وتسويغ عدوانهم على أرض الإسلام. فقامت الحروب الصليبية والعالم الإسلامي ممزَّق، حتى تمكن الصليبيون من احتلال مدينة القدس يوم الجمعة (٢٣) شعبان سنة (٤٩٢هـ) الموافق (١٥) تموز (يوليو) سنة (١٠٩٩م)، بعد حصار دام أكثر من أربعين يوما. وكانت مذبحة رهيبة قام بها الصليبيون، فذبحوا في المسجد الأقصى أكثر من سبعين ألفاً، بينهم جماعة كبيرة من علماء المسلمين وأئمتهم وزهّادهم وعبّادهم، وذبحوا في الشوارع والطرقات والبيوت أعداداً هائلة، لا يفرِّقون بين رجل وامرأة وطفل، وأخذوا من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنُّوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين

قنديلا نقرةً، ومن الذَّهب نيّفاً وعشرين قنديلاً، وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء.[1] فبكى لهذا المصاب كثير، وبكى الشعراء، وهاج الناس في بغداد والعالم الإسلامي، فاستغاثوا وبكوا وأبكوا، وذكروا ما داهم المسلمين من ذلك الشر العظيم. وأحست الأمة بالخطر، أحست كلها، بالرغم من تمزّقها وصراعها وخلافاتها. أحست بالخطر لأن الإسلام كان لا يزال هو العاطفة الأولى الممتدة في الأمة، لا يكاد يجاهر بالكفر جماعة ولا يدعو إلى الإلحاد دعاة، ولا تختلط البيوت في الأسرة الواحدة بين مسلم وكافر. ربما جهر بالمعصية فُسّاق، وانحرف عن جادة الحق أصحاب مصالح، وأغوى الشيطان ضعفاء ومنافقين، ولكن الأمة كانت لا تزال هي أمة الإسلام.

فما لبث أن بعث الله للأمة من يسعى لجمع كلمتها وأمرها، ومن يغضب لله ولدينه، ويهبُّ لإعلاء كلمة الإسلام. ودار القتال بين المسلمين والصليبيين وانبرى الشعراء لا يتحدثون عن قطر أو قوم وإنما يتحدثون عن الإسلام وعن الصراع الدائر بين المسلمين والروم. وبرزت الغضبة لله في الأدب والوقائع والميدان. فظهر عمادالدين الزنكي ونورالدين الزنكي الملقّب بالشهيد وصلاح الدين الأيوبي ليرسموا سيرة جهاد عطرة زكية، تابعها صلاح الدين الأيوبي حتى

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج (٨). ص (١٨٩). طبعة دار الكتاب العربي ببيروت والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير ج (١٢) ص (١٥٦) طبعة دار المعارف.

انتصر في معـركة حطين سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م)، ثم سار إلى قلعة طبريا فأخذها، ثم زار قبر شعيب عليه السلام، ثم تسلّم بلاد الأردن، ثم اتجه إلى عكا ففتحها صلحاً. وبعد ذلك اتجه إلى بيت المقدس ونزل غربيّه في ١٥ رجب سنـة (٥٨٣هـ)، فحاصرها حصاراً شديداً ودار قتال عظيم. وكان رئيس الفرنجة فيها (بالبان بن بازران). فلمّا رأى شدَّة الحصـار والقتـال، ورأى هو والفـرنجة سقوط البرج في الزاوية الشمالية الشرقيّة، هرع كبار الفرنجة إلى السلطان صلاح الدين يسألونه الأمان. فامتنع صلاح الدين أولاً عن إعطاء الأمان وقال: «لا أفتحها إلا عنوة كما افتتحتموها عنوة، ولا أترك بها أحداً من النصارى إلا قتلته كما قتلتم المسلمين». فطلب «بالبان» نفسه الأمان ليحضر عنده. فلما حضر تذلّل ذلاًّ كبيراً، وتوسَّل كثيراً، وتشفَّع بِكُلِّ ما أمكنه فلم يُجِبْهُ إلى الأمان فقالوا: «إن لم تعطنا الأمان رجعْنا فقتلنا كُلَّ أسير لدَينا، وكانوا قريباً من أربعة آلاف من المسلمين، وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا، وخرّبنا الدور والأماكن الحسنة، وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال، وهدمنا قُبّـة الصخْرة، وحرقنا ما نقدر عليه، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت، فماذا ترتجي بعد هذا من الخير؟».

فلما سمع السلطان صلاح الدين ذلك أجاب إلى الصلح، صلح العزّة والقوة، صلح النصر والفتح. واشترط صلاح الدين عليهم أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير،

وعن كل صغير وصغيرة دينارين، ومن عجز عن ذلك كان أسيراً للمسلمين، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين، وأنهم يتحوَّلون منها إلى مأمنهم وهي مدينة صور. وأطلق السلطان خلقاً منهم، ووقعت المسامحة فى كثير منهم، وفرّق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب على العسكر، ولم يأخذ منه شيئاً مما يُقْتَنى ويُدَّخر. وكان رحمه الله حليماً كريماً مقداماً شجاعاً.

نصرٌ من الله عظيم منَّ على عباده المؤمنين العاملين المجاهدين، في درب من الفتوح ممدود، يمتدّ من مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة إلى أبواب القدس، حيث يظلّ المؤمنون يسجلون نصراً بعد نصر، يرزقهم إياه الله، نصراً في قلب بيت المقدس، في المسجد الأقصَى، في أرض فلسطين، لتكون هذه الأرض المباركة دُرَّة في دار الإسلام. ولتكون هذه الأرض المباركة منطلق مواكب الإيمان في الأرض كلها، متصلة مع المواكب المنطلقة من قلاع الإيمان، ومن بقاعه المباركة مكة والمدينة، اتصال عقيدة وإيمان وتوحيد.

بقيت فلسطين جزءاً من دار الإسلام لا يتجزأ حتى القرن العشرين الميلادي، حين دخلت الجيوش الأجنبية، فمزّقت الديار وسلّمت فلسطين لليهود حتى قامت لهم فيها دولة.

ودخلت مع الجيوش المعادية أشكال متعددة من الفتن. فتنة في الفكر والأدب، وفتنة في الأخلاق والسلوك، وفتنة في الاقتصاد.

وامتدت الفتن إلى جميع ميادين الحياة، يغذِّيها شياطين الإنس والجنّ، ويلهبها أعداء الله، حتى يزداد المسلمون ضعفاً.

ومـازالت قضية فلسـطين حتى هذه اللحظة هي قضية المسلمين الأُولى. وقد عرضنا في كتاب: «ملحمة فلسطين»، وكتاب «على أبواب القدس» صورة واضحة لهذه القضية، من خلال منهاج الله، من خلال القرآن والسنة.

ولا حاجة بنا أن نعيد ما ذكرناه هناك، ولكننا بحاجة إلى أن نثبّت بعض النقاط الأساسية على ضوء ما عرضناه هنا:

١ - إن فلسطين هي أرض الإسلام منذ عصور غابرة:

فلم يدخلها الأنبياء والمرسلون إلا باسم الإسلام، في مسيرة ممتدة مع الزمن، حتى كانت النبوة الخاتمة فانطلقت كتائب الإيمان من مكة المكرمة إلى المدينة المنوّرة، لتحمل رسالة الله إلى الناس كافة وانطلقت جحافل المؤمنين في الأرض تدعو وتبلّغ رسالة الله، رسالة الإسلام. وعادت أُمة الإسلام إلى فلسطين لتستأنف مسيرتها وحمل الأمانة. وكان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يصور هذا الترابط في تاريخ الأمـة المسلمة، ويصوّر لقاء الأنبياء يؤمهم محمد ﷺ، إيذاناً يحمـل هذه الأمانة العظيمة وإقرار الأنبياء له كُلُّهم. فأَصبحت هذه الأمـانة في عنق الأُمة المسلمة كلها، في عنق المسلمين، في عنق كلِّ مسلم في الأرض.

٢ ـ طريق النبـوة :

رسمت مسيرة كتائب الإيمان من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ثم إلى فلسطين خصائص نهج النبوة إلى فلسطين. وامتدَّ هذا النهج حتى استـأنفته مسيرة المؤمنين يقودهـم الأبطال العظام من أمثال عمادالدين الزنكي ونورالدين الزنكي وصلاح الدين الأيوبي رحمهم الله جميعا رحمة واسعة. ومن هذا التاريخ كله، ومن منهاج الله قرآنا وسنة، نستطيع أن نوجز ملامح درب النُبوة إلى فلسطين :

أ ـ الأمة المؤمنة الواحدة: نلمس هذه الحقيقة الإيمانية في الواقع التـاريخي، وفي نصـوص الكتـاب والسنـة، لتكون قضية فلسطين، وقضية كل دار من ديار المسلمين هي قضية الأمة المؤمنة الواحدة. لقد كشف واقعنا اليوم كيف عجز كل قطر عن مجابهة الأحداث وحده، وكيف عجز عن حلّ مشكلاته وحده، وكيف أن قضايا الإسلام يجب أن تتولاها أُمة واحدة لا أُمة ممزّقة. وفوق ذلك كله فإن هذه الحقيقة الإيمانية هي أمر الله لعباده المؤمنين، إنها قضية دين وإيمان وتوحيد، وليست قضية وهم وخيال.

ب ـ النهج والتخطيط : إننـا نلمس في مسـيرة كتائب الإيمان عظمة النهج والتخطيط، وعبقرية المسيرة والتطبيق. وإننا نجد كذلك هذه الحقيقة الإيمانية مشرقة في كتاب الله وسنة رسوله، ونجد كذلك عبرة في واقعنا حين نرى كم خسرنا من مواقف الارتجال وردود الفعل

واضطراب السَّعْي . إن النهج يقوم على عناصر رئيسة يجب توافرها حتى ينطلق النهج إلى ميدان الممارسة والواقع . إن النهج يحتاج إلى صدق النية ، وتوافر تفصيلات الدرب والوسائل والأساليب ، وجلاء الأهداف الثابتة والمرحلية .

جـ ـ **الراية والشعار** : لم يكن لهذه الأمة المسلمة إلا شعار واحد في جميع ميادين النصر والفتوح . وحين تعددت الشعارات واضطربت الرايات كانت الهزيمة والخسائر. لابد من أن تكون راية الإيمان والتوحيد هي الراية التي يستظل بها العاملون، ليمثِّلوا حقيقة الراية وصدقها في واقع الحياة، وفي خضمّ الميدان .

د ـ **إخلاص النية لله** : فهي الأساس لكل عمل ، وهي التي تطلق العمل وتهبه القوة والطاقة ، وهي التي توجهه إلى أهدافه ، وتحفظه على النهج حتى لا ينحرف . والنيّة هي التعبير النفسي عن العزيمة النابعة من الإيمان والتوحيد . ونصوص الكتاب والسنة توضح ذلك كله ، ومسيرة كتائب الإيمان ودرب النبوة تؤكد هذه الحقيقة ، وتكشف لنا عظمة دور النيّة في تحقيق النصر المتنزِّل من عند الله . ويكشف لنا واقعنا اليوم كم أثَّر اضطراب النيّة في وقوع الهزيمة . كيف يتنزَّل النصر من عند الله على قوم يتنافسون الدنيا ، ويلهثون وراء الشهوات .

والنيّة تعني الوعي واليقظة ، والعلم والخبرة . وهي نفسها تحتاج إلى علم حتى تصدق وتصح ، وإلى إعداد وتدريب ، وتذكير ونصح ،

ومراقبة وإشراف. وحين تصدق النيّة نكون قد أرسينا القاعدة الضخمة التي يقوم عليها النهج والتخطيط، والتي يتوافق معها الشعار والتطبيق، والتي تحدِّد لنا الهدف لتتكاتف الجهود في بناء الأُمة المؤمنة الواحدة. من هنا ترى كيف أن النيّة تربط الملامح التي عرضناها كلها.

هـ - الطاقة البشرية وسائر القوى: لقد كشف لنا العرض السابق لانطلاقة كتائب الإيمان كيف استطاعت الطاقة البشريّة المدرّبة أن تحمل مسئولياتها وتنطلق إلى أهدافها. فلابد من أن تتوافر في الطاقة البشرية عوامل القوة والتربية والبناء، حتى نستطيع أن نمتلك سائر أسباب القوة المادية، لنسخِّرها في طاعة الله وعبادته والجهاد في سبيله.

إننا نحتاج إلى الطاقة البشرية التي يصوغها الإيمان والتوحيد، ويبنيها منهاج الله، قرآناً وسنة ولغة عربية، وتصقلها التجربة والخبرة والمران.

و - تكامل الميادين وتناسقها: لم تنصرف كتائب الإيمان إلى الجهاد العسكري تاركة سائر الميادين خالية من جنودها الصادقين. لقد امتد جهادها في سبيل الله إلى كل ميدان: التربية والبناء، السياسة، الاقتصاد، ميادين العلوم والنشاط الذي يطلقه الإيمان ويوجهه التوحيد. وكانت هذه الميادين كلها تعمل متناسقة متكاملة، مترابطة فيما بينها، يجمعها كلها عظمة النهج والتخطيط في أمة قوية، تحمل رسالتها إلى البشرية.

ز : التصور القرآني للإيمان والممارسة الإيمانية: لقد ظهرت عظمة الإيمان في الكتائب التي بنتها النبوّة الخاتمة، وأطلقتها في الأرض تحمل رسالة الله وتبلغها، لقد ظهرت عظمة الإيمان في هذه الكتائب في وحدة التصوّر الإيماني في قلوب الجنود والأُمة كلها. فلقد كان منهاج الله هو مصدر التصور حتى كان تصوّراً قرآنياً واحداً في القلوب، وكانت مدرسة النبوة هي مدرسة البناء والتربية والعطاء، حتى تلاقت القلوب والنفوس، وتشابكت السواعد والنفوس، واجتمعت كلها على كلمة الحق لتبني أمة واحدة هي أُمة الإسلام. ومن هذا التصور القرآني للإيمان والتوحيد تبرز معالم أساسية وملامح قوية في ميدان الممارسة والتطبيق. وأهم هذه المعالم والملامح للتصور القرآني نوجزها بمايلي:

ز ـ ١ صدق الولاء لله سبحانه وتعالى حتى يكون هو الولاء الأوّل في حياة المؤمن، ينطلق منه كل ولاء آخر ويرتبط به.

ز ـ ٢ صدق العهد مع الله ليقوم عليه كل عهد آخر يرتبط به المؤمن في حياته الدنيا.

ز ـ ٣ الحبُّ الأكبر هو لله ولرسوله، لا يجعل المؤمن في حياته أنداداً لله يحبُّونهم كحبّ الله فالذين آمنوا أشدُّ حبّاً لله.

ز ـ ٤ الخشوع والتضرُّع واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى تضرُّعاً وخشُوعاً ودعاءً خاليا من الشرك، نقيّا من الشوائب.

ز ـ ٥ يقوم هذا كلُّه على وعي قويٍّ لمعنى الأُلوهية والربوبية

وجلالها، ومعنى عبودية الإنسان لربّه وخالقه.

ز ـ ٦ يغذي هذا كله وينميه مصاحبة منهاج الله، قرآناً وسنّة ولغة عربية، مصاحبة عمر وحياة، مصاحبة تصديق وعلم وممارسة.

لقد كانت هذه خصائص بارزة في حياة هذا الجيل العظيم الذي بنته مدرسة النّبوة، ليقود البشرية كلها إلى الحق والخير، إلى العدل والصلاح، إلى الأمن والأمان والسلام.

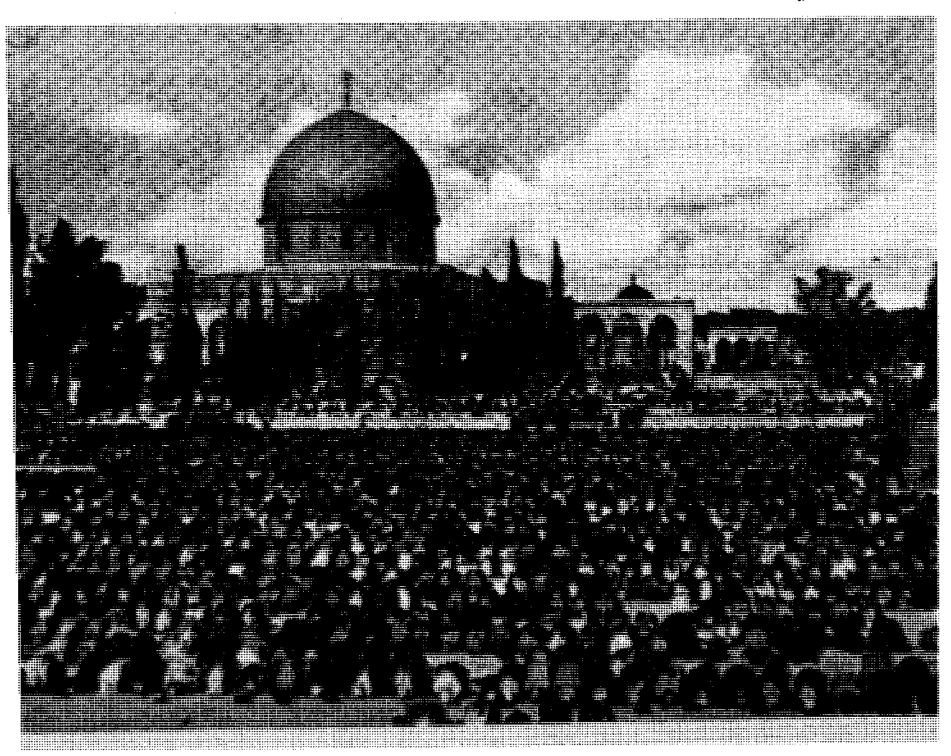
عندما تتضح في قلوبنا هذه المعالم والملامح كلها لدرب النبوّة إلى فلسطين نستطيع بيُسر وسهولة أن نراجع مسيرتنا الحديثة إلى فلسطين، حتى ندرك بجلاء أين كانت أخطاؤنا، لندرك كيف غلبتنا العصبيات الجاهلية، وتملكتنا الأهواء، وفرقتنا الشهوات، واضطرب الولاء والعهد، واختلطت معاني الإيمان والتوحيد، فاختلطت الدروب والأهداف.

نقدِّم هذه الملحمة الشعرية بأبوابها وفصولها، مع هذه المقدِّمة النثرية لتوضح ملامح درب النبوة إلى فلسطين، ولندرك أهم أخطائنا، عسى أن تصحح مسيرتنا إلى الأرض المباركة، إلى المسجد الأقصى، إلى فلسطين، وعسى أن تعود أُمة الإسلام لتحمل رسالتها إلى الإنسان، إلى البشرية كلها.

ولا غناء عن كتاب ملحمة فلسطين (وهو نثر وشعر)، وكتاب على أبواب القدس، لأخذ مزيد من هذا التصور الذي نعرضه هنا،

وتفصيلات أوسع عن واقعنا.

إننا ندعو الله ونلحُّ بالدعاء أن يتقبَّل منّا عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، نقيّاً من شوائب الدنيا، طاهراً من شهواتها، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يهبنا برحمته وعفوه صدق النيّة وجمال التجرّد لله وحلاوة الإيمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، والحمد لله رب العالمين.



المسلمون يؤدون صلاة الجمعة في ساحة الحرم الشريف.

الفصل الثاني

منزلة فلسطين
بين آيات كريمة، وأحاديث شريفة

يكشف تاريخ فلسطين منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا خطورة وأهمية منزلة فلسطين، وخطورة موقعها والدور الهام الذي لعبته في مختلف العصور. ولقد مَرّت على فلسطين بسبب هذا الموقع الخطير شعوب كثيرة اختلفت آثارها فيها. إلا أن الأثر العظيم الذي لا يزول ولن يزول هو الأثر الذي تركته أُمة الإسلام، يقودها الأنبياء والمرسلون يحملون دعوة الله ودين الإسلام.

من الشعوب التي مرّت بها أو استوطنت فيها: الكنعانيون الذين كانوا من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين منذ سنة ٢٥٠٠ (ق.م.) وهاجر إليها عدد من الشعوب السامية مثل: الأموريين والجيوبون والغرغاريين والبرزيين واليبوسيين. وجاء إليها كذلك شعوب أُخرى: الحثيون، والفلسطينيون الذين استقرُّوا بها، والبابليون والآشوريون والكلدانيون. وغزاها اليونانيون والفرس والرومان، وحكمها الأنباط العرب بحدود سنة ٣٠٠ (ق.م). ومرّ بها اليهود كذلك، حين دخلوها باسم الإسلام لاباسم قومية أو جنس أو

عُنْصُر. ثم أخرجهم الله منها لما تركوا رسالة الإسلام.

وظلت أرض فلسطين على مدى التاريخ تحمل حقيقة أهميتها من عظمة الرسالة الرّبانية التي بها استقرَّ جنودها ودعاتُها فيها، ومن موقعها الذي جعله الله موقعاً متميّزاً، يربط ثلاث قارات، ويربط البحر والبرَّ والمحيطات، وغير ذلك مما وهبه الله لها. وتزداد أهميتها حين ترتبط ارتباط عقيدة وإيمان وتوحيد مع مكة المكرَّمة والمدينة المنورة وسائر الجزيرة العربية، ومع سائر بلاد الشام، لتكوِّن هذه كلُّها أخطر منطقة عرفها البشر في تاريخه كله، منطقة حملت مع التاريخ هي وقضاياها أسماء مختلفة. فقد عرفنا في التاريخ «المسألة الشرقية»، ونعرف اليوم «منطقة الشرق الأوسط». وتحتل في السياسة الدولية أخطر منزلة وأكثرها حساسية.

لذلك كانت فلسطين مفتاح المنطقة كلها، منطقة الشرق الأوسط، بل مفتاح الشرق كله، ومفتاح دار الإسلام.

لقد عرضنا في كتاب «ملحمة فلسطين» صورة أوسع عن أهمية فلسطين، حين تحدثنا هناك عن «فلسطين بين التاريخ والإيمان»، في «لمحة من تاريخها القديم»، و «فلسطين والنبوة»، و «اليهود يتحرّكون إلى فلسطين»، و «امتداد الرسالة الإسلامية في فلسطين مع الزمن»، وفي كتابنا: «فلسطين بين المنهاج الربّاني والواقع»، وفي كتابنا «على أبواب القدس» كذلك.

ولكنا هنا نريد أن نبيّن الأهمية التي أشار إليها الإسلام لأرض فلسطين، والتوجيه العظيم الذي هيأه الله للمؤمنين.

ففي سورة الإسراء:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

هذه النقلة العظيمة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى تربط المسجدين والبقعتين ربط إيمان وتوحيد، وربط رسالة ودعوة، وربط مسئولية وجهاد. إنه الإسراء الذي يحمل النبوّة الخاتمة لتربط المؤمنين في الأرض أُمة مسلمةً واحدة من دون الناس، أُمة تمتدّ في التاريخ أعظم امتداد مع الأنبياء والمرسلين، أُمة آمن أنبياؤها ورسلها كلُّهم بمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً خاتماً، حتى كانت هذه الحقيقة الكبيرة جزءاً من رسالة الأنبياء، وجزءاً من ميثاقهم وعهدهم مع الله، شهادةً ماضيةً مع الدهر مع شهادة «أن لا إله إلا الله»، وشهادة «أَنّ محمداً رسول الله». ولا بأس أن نعيد هنا الآية التي سبق ذكرها في صفحات سابقة توضح هذا الميثاق وهذه الشهادة.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ

قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ . (آل عمران : ٨١) .

ميثاق وعهد وشهادة. وجاء الإسراء ليُذكِّر بهذا العهد والميثاق، وليثبِّت الشهادة، وليذكّر أهل الكتاب من اليهود والنصارى بهذا العهد والميثاق، وبما أَقرّ به أنبياؤهم، وبما عاهدوا الله عليه، وبما شهدوا به فشهد الله معهم!

ولذلك جاء بعد هذه الآية من سورة آل عمران تغليظ الإثم والمعصية لمن يتولى عن هذا العهد والميثاق والشهادة، تغليظاً يجعله من الفاسقين:

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ .

(آل عمران : ٨٢) .

وإذا كانت الآية من سورة الإسراء تنقلنا هذه النقلة العظيمة وتربط الأرض والمؤمنين، وتذكِّر بالعهد والميثاق والشهادة، فإن الآيات بعدها في سورة الإسراء تذكر اليهود خاصة بهذه الحقيقة العظيمة:

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ . (الإسراء: ٢، ٣).

كيف يُعْقَل أَن يتولى اليهود عن هذه الحقيقة العظيمة، ويُنكروا نبوَّة محمدٍ ﷺ، وقد آتى الله موسى الكتاب، أي التوراة، وجعل الكتاب (أو

موسى عليه السلام) هدى لبني إسرائيل يُريهم الحقَّ ليتَّبعوه. وكتابهم الـذي آتـاهـم الله يقـرُّ بنبـوَّة محمـد ﷺ نبيّاً ورسولاً خاتماً، ويأمرهم باتباعه، ويأمرهم أن لا يتخذوا وكيلاً من دون الله أبداً. فالله هو الذي يهديهم إلى الحق، وهو الذي بعث موسى عليه السلام بالحق، وآتاه التوراة، وأخذ منه العهد والميثاق والشهادة بنبوة محمد ﷺ. إنها رسالة التوحيد الخالص النقيّ، إنها دين الإسلام.

كيف يمكن أن تتولوا أيها اليهود عن العهد والميثاق والشهادة، وقد كان هذا العهد والميثاق وهذه الشهادة ماضيةً مع التاريخ كلِّه، تُعاد مع كل نبيٍّ، لا تخلو منها رسـالـة نبي ولا دعوة رسول، منذ نوح عليه السلام، النبيّ الذي بلّغ الرسالة كلَّها كما أمره الله بها فكان «**عبدًا شكورًا**».

كيف يحقُّ لكم أيهـا اليهـود أن تتـولَّـوا وتنكـروا نبـوّة محمـد ﷺ وتحـاربوه؟! وهذا الإسراء يذكِّركم بهذا كله قبل أن تتمادوا في غيكم وضلالكم. وقد كتب الله عليكم بتوليكم عن هذا العهد أن تفسدوا في الأرض إفسـاداً واسعاً، نضرب مثلاً عليه بمرّتين تفسدون فيها كفراً بنعم الله، ولكن النصر الأخير للحق حين تأتيكم الفئة المؤمنة الصادقة ليسـوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه، أي كما دخله المؤمنون، أول مرّة:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ

أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٥ ـ ٧)

ما هما هاتان المرتان «. . لتفسدنَّ في **الأرض مرتين. . .**»، لم تبيِّن الآيات الكريمة ذلك، ولم يَرِدْ حديث صحيح عن الرسول ﷺ حول هاتين المرتين وما جاء في بعض كتب التفسير عن ذلك لا يعدو أن يكون آراءً بشرية اختلفت اختلافاً واسعاً. فمنهم من قال غزو سنحاريب ملك بابل، أو غزو جالوت، أو بختنصّر، أو الرومان على عدة مرات، على غير سند من الكتاب أو السّنة. فليس لدينا تفسير قاطع نعتمده لهذه الآيات الكـريمة. ولقد أفسد اليهود في الأرض كثيراً، وعرض القرآن الكريم نماذج عديدة من إفسادهم في الأرض، وضرب لنا مثلاً من مَرَّات متكرِّرة في عصور مختلفة. ومن منهاج الله قرآناً وسنّة نجد أن إفسادهم سيمتدُّ في الأرض طويلاً إلى يوم القيامة:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأعراف: ١٦٧).

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ . (آل عمران : ١١٢).

لقد أفسدوا في الأرض كثيراً وآذوا أنبياءهم وقتلوا بعضهم ، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام فرفعه الله إليه ، وأفسدوا في شعوب الأرض كلها ، حتى لا تكاد تجد شعباً خلا من إفسادهم ، فنالوا بسبب ذلك ذِلّـة ضُربت عليهم ، وحاولت الشعوب كلها أن تتخلّص منهم . ولم يجدوا أَمـانـاً أبداً إلا في إحدى حالتين : «حبل من الله» ، وذلك بأن يسلموا ، أو «حبل من الناس» ، وذلك بأن يدخلوا في ذمة وعهد من الناس . وما عرف اليهود في كل تاريخهم أوْفىٰ وأرحم من المسلمين أبداً .

فما هما المرَّتان اللتان أراد الله سبحانه وتعالى أن يبينهما لنا في هذه الآيات الكريمة؟!

نعتقد أنه لو كان في معرفتهما ضرورة للناس وحاجة للإيمان لذكر الله سبحانه وتعالى تفصيلاتهما ، أو لجاءت السنّة تفصّل وتوضّح . وحيث أن الكتاب والسنّة لم يفصّلا في ذلك ، فنميل إلى عدم ربط هذه الآيات الكريمة بحادثة محدَّدة لنعتبرها هي التفسير الحق . ولكننا نؤمن بأن هذه

الآيات الكريمة تبينّ مسئولية المؤمنين في الأرض على مرّ الزمان كله، ليتصدَّوا للفساد من حيث أتى. فهذه هي مَهمَّة رئيسة للمؤمنين في الأرض لا يحلّ لهم أبداً أن يتخلّوا عنها. فتبينّ الآيات الكريمة إذن أن رأس الفساد في الأرض اليهود، وأن أقوى من يتصدّى لهم هم المؤمنون، وأنّ أهم الملاحم بين الحق والباطل، بين المؤمنين واليهود، ستكون عند المسجد الأقصى. وضرب الله لنا مثلاً على هذه الملاحم الممتدّة ضد فساد اليهود بمرَّتين، بمثلين، ليكونا حافزاً دائماً للمؤمنين، ومذكّراً قوياً لهم بأن يظلّوا أبداً على أُهبة وقوة لصَدِّ الفساد والفتنة في الأرض كلِّها، ولصدّ فساد اليهود في أرض المنشر والمحشر، لا يحلُّ لهم الرّكون أو التراخي أو النكوص أبداً. مَهمّةٌ ماضية مع الزمنِ.

مرَّتان في التاريخ، فالله وحده أعلم بذلك، مرّتان في التاريخ تظلان آيات بيّنات في كتاب الله لتحدِّد مسئولية المؤمنين لينهضوا إليها دون توانٍ أو تراخ، فإن قصَّروا عن هذه المهمَّة فإن عقاب الله ماضٍ على كلِّ من يخالف أمره ويتهاون بحقّ الأمانة التي يحملها. ثمَّ يستخلف الله آخرين يحملون الأمانة ويوفون بالعهد.

لو ربطنا هاتين المرّتين بحادثتين محدَّدتين، على خلاف ما عرض القرآن الكريم، ربَّما زيّن الشيطان لأناس أن يتوهّموا أنه يحلّ لهم الرّكون والاستسلام حتى يأتي وعد المرّة الثانية «**وعد الآخرة**».

ولقد توهّم بعض الناس ذلك فعلاً، وتمادوا في وهمهم حتى قالوا إنه

قدر الله ، فلننتظر حتى يأتي «**وعد الآخرة**»! خاب سعيهم وضلّوا بهذا الـوهم، ونسوا أن كلّ شيء هو بقدر الله وقضائه، ولكن قدر الله لا يُسقط مسئولية الإنسان وحسابه. فإن الله قدّر ومضى قضاؤه وسبقت كلمته في أن يكون الإنسان مسئولاً عن عمله الذي سيُحاسَب عليه على أساس ما بيّن لنا منهاج الله. فمسئولية الإنسان هي من قدر الله وقضائه. ولو أن رجلاً قتل رجلاً آخر، فإن ذلك تمّ بقضاء الله وقدره. ولكن ذلك لا يُسقط مسئولية القاتل وضرورة إقامة حدّ الله عليه.

إن فلسطين حق الإسلام وجزء من دار الإسلام، ارتبطت بمكة المكرّمة ارتباطاً يوثّق العهد ويقوّي العُرى، ويوضّح الأمانة والمسئولية.

إنها قضيّة ميثاق وعهد، جاء الإسراء برحمة من الله ليذكِّر بهذا العهد، ليذكّر المؤمنين على مرّ الزمن بأن ينهضوا لأمانتهم وحماية فلسطين لتظل ملك الإسلام وحق المسلمين، وليذكِّر أهل الكتاب بأن يرجعوا عن ضلالهم وغَيّهم فيسلموا لله ربّ العالمين، ويدخلوا في دين الإسلام كما جاء مع النبوّة الخاتمة، ولينذرهم بعقاب الله الشديد إن هم أساءوا وخالفوا دين الله واعتدوا وظلموا وما دخلوا في الإسلام.

وضرب الله هذين النموذجين مثلاً على مسئولية المؤمنين في الأرض مع مضيّ الزمن كلِّه، وفي كلِّ لحظة من لحظاته، ومثلاً على الذكرى التي تنفع المؤمنين الصادقين العاملين الذين لا يتوقَّفون عن حمل الأمانة، والبشرى القائمة لهم أبداً ما صدقوا العهد مع الله وأوفوا بالأمانة، وفي

الوقت نفسه مثلاً على عقاب الله لمن يخالف أمره، ويخالف دين الإسلام الذي جاءت به النبوة الخاتمة التي أُسْرِيَ بها إلى المسجد الأقصى، حيث تدور الملاحم بين الإيمان والكفر، ومثلاً يذكّر المؤمنين في الأرض كلها ليوِّجهوا أنظارهم إلى فلسطين، وليصُبُّوا جهودهم لحمايتها، فهي أرضهم وبلادهم وحِماهم وحمى الإسلام، مرتبطة مع مكة المكرمة والمدينة المنورة، مرتبطة مع كل شبر من دار الإسلام.

وتوجه الآيات الكريمة إلى خطر اليهود الذين يتولَّون عن عهد الله وينقضون ميثاق الله، ويتخلَّون عن الشهادة بأن محمداً رسول الله، إلى خطر اليهود الدائم الذين يجمعون حولهم الناس للإفساد في الأرض، فيكثر نفيرهم ابتلاء منه سبحانه وتعالى لليهود وللناس وللمؤمنين.

أرض فلسطين في نظر الإسلام هي أرض ملاحم الإيمان. هناك يجمع الكفر جنوده وشياطينه ليحارب الإسلام وأهله. هناك تلتقي أطماع المجرمين في الأرض كلها، ليثبوا منها إلى ثروات وخيرات، وديار وأموال.

لذلك وجه الإسلام أنظار المؤمنين إليها ليرابطوا فيها، وفي بلاد الشام، حتى يظلّ جنود الإسلام واعين لحقيقة المعركة التي تمتد في التاريخ بين الإيمان والكفر.

وتأتي الأحاديث الشريفة لتؤكد هذا المعنى، وتوجه هذا التوجيه العظيم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا تُشَدُّ الرحال**

إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى». [رواه الستة والإمام أحمد][1].

وعن زياد بن أبي سودة عن أخيه أن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت: يانبيّ الله أفتنا في بيت المقدس، فقال: **«أرض المنشر والمحشر أئتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه». قالت: أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه، قال: فليهد إليه زيتا يسرج فيه فإن من أهدى له كمن صلى فيه».** وفي رواية: «.. **فإن صلاة فيه كخمسمائة صلاة».** (رواه أحمد).[2]

وعن أبي أُمامة الباهلي قال، قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أُمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرّهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يارسول الله وأين هم؟! قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس».**

(رواه أحمد)[3].

إلى هناك إذن تَشَدُّ الرحال: إلى مكة والمدينة والقدس. إنها حمى الإسلام وداره.

---

(١) سبق تخريجه في الافتتاح ص (٥).

(٢) الفتح الرباني، حـ (٢٣)، ص (٢٨٩)، حديث (٦٥٠).

(٣) مسند الإمام أحمد، حـ ٥، ص٢٦٩. فضائل القدس لابن الجوزي (ص: ٩٤). الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي. (ص: ٢٢٨).

إلى هناك، إلى فلسطين، إلى: **بيت المقدس وأكناف بيت المقدس**.

إلى هناك يُهدَى الزيت يُسرج فيه.

إلى هناك، إلى بيت المقدس، فهي أرض المحشر والمنشر.

وعن أبي الدرداء قال، قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام. ألا وإن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام**».

(رواه أحمد)[1].

والشام هي فلسطين وسوريا والأردن ولبنان، كلها تسمّى بلاد الشام. وفي هذا الحديث الشريف إشارة إلى الفتن التي تقع في بلاد الشام. والفتن هي فتن الكفار واليهود والنصارى، وعدوانهم وطغيانهم، ومؤامراتهم الممتدَّة مع التاريخ على بلاد الشام، وفي سائر ديار المسلمين. فهناك الإيمان والرباط حيث يُمحَّص المؤمن ويُخْتَبر إيمانه، ويُجْلَى معدنه في هذه الفتن الدائرة والملاحم الملتهبة.

من هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة نرى شدَّة توجيه الإسلام لجنوده ليرابطوا حيث ستدور الفتن، وليشدُّوا الرحال إلى هناك، وليظلّ المؤمنون على يقظة وانتباه، لا تُسْلَبُ منهم ديارهم وهم غافلون، ولا تنتهب ثرواتهم وهم نائمون لاهون.

واستمع إلى حديث رسول الله ﷺ يؤكد هذه المعاني والظلال، ويؤكد هذا التوجيه الربَّاني:

---

(١) الفتح الرباني حـ(٢٣). (ص: ٢٨٨) حديث: (٦٤٩).

عن عبدالله بن عمرو قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مُهاجَر إبراهيم. ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تقذَرُهم نفس الله، وتحشرهم مع القردة والخنازير**». (رواه أبوداود).[1]

نعم: هجرة بعد هجرة! سيهاجر الناس لهذا السبب أو ذاك، ولكن الخير العظيم فيمن يلزم مُهاجَر إبراهيم عليه السلام. ومُهاجر إبراهيم هي أرض فلسطين، هاجر إليها مع لوط من أرض العراق، يحملان رسالة الله ودينه الإسلام! إلحاح وتأكيد على المرابطة هناك، وعلى التزام هذه الأرض، وعلى الجهاد فيها! إلحاح وتأكيد يفرض علينا أن نتدبّر ونبحث عن الغاية والسبب.

وإذا نظرنا في التاريخ نجد آية من آيات الله. الأنبياء يصبّون في أرض فلسطين، يهاجرون إليها، يقيمون فيها، يدعون إلى دين الله إلى الإسلام.

فإبراهيم عليه السلام يهاجر إليها، حتى سمّاها رسول الله ﷺ مُهاجَرَ إبراهيم عليه السلام. وفي كتاب الله تَرِدُ هذه الهجرة الكريمة، ليبيّن لنا القرآن الكريم أَن الهجرة كانت لله:

﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٩٨ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾. (الصافات: ٩٨، ٩٩).

---

(١) سنن أبي داود. كتاب الجهاد (٩). باب (٣). حديث. (٢٤٨٢).

وتأتي هذه الهجرة لتؤكد معنى الهجرة إلى أرض باركها الله :

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾. (الأنبياء: ٧٠، ٧١).

وموسى عليه السلام يتوجّه إلى فلسطين يقود قومه «المسلمين» يحملون رسالة الإسلام، ويأمر قومه بأن يدخلوا الأرض المقدسة، الأرض التي امتدّت قدسيّتها من عصور سابقة، يأمرهم موسى بأن يدخلوها برسالة الإسلام، تأكيداً لقدسيتها النابعة من الإسلام، وتأكيداً لارتباطها الثابت بالإسلام والمسلمين :

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾. (المائدة: ٢١).

«. . كتب الله لكم. . »! كتب الله لكم هذا الشرف بأن تحملوا رسالة الإسلام إليها في تلك الحقبة من التاريخ، وخصَّكم في تلك الحقبة بهذه الأمانة العظيمة. لكن بني إسرائيل أحجموا عن ذلك وضعفت عزائمهم، فلم يستجيبوا لأمر الله، ولا لنداء موسى عليه السلام، ولا لنداء الرجلين الصالحين منهم، ولا لوعد الله لهم لو صدقوا. فكتب الله عليهم أن يتيهوا في الصحراء أربعين سنة، يفنى فيها الجيل الواهي الضعيف، وينشأ جيل جديد من المؤمنين، أصلب عوداً وأوفى عهداً، صهرتهم الصحراء وصنعتهم رسالة الإسلام،

ليحملوا دين الإسلام إلى أرض فلسطين، يقودهم النبيُّ المسلم يوشع ابن نون عليه السلام، فيفتح الله لهم الدّيار:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس لم تُحبَسْ على بشرٍ إلا ليوشع بن نون ليالي سارَ إلى بيت المقدس**». (رواه أحمد)[1].

لقد كانت المهمَّة إذن عظيمة حتى حبس الله الشمس من أجلها. لقد كانت المهمَّة رسالة الإسلام، رسالة الإيمان والتوحيد، الدين الحقّ الواحد الذي حمله الأنبياء والمرسلون كُلُّهم على مرّ الزمان، يدعون إلى ربّ واحد وإله واحد هو الله الذي لا إله إلّا هو، الدين الحق الواحد، رسالة الله إلى عباده، الرّسالة التي خُتمت بمحّمد ﷺ. لقد كانت المهمّةُ رسالةَ الإسلام يحملها المسلمون المؤمنون، كما حملها قبل ذلك إبراهيم ولوط عليهما السلام، وكما حملها بعد ذلك سائر الأنبياء والمرسلون الذين خُتِموا بمحمد ﷺ، بريئين من عصبية الدم والجنس، بريئين من كل عصبية جاهلية.

وامتدّت النبوّة في أرض فلسطين، امتدت نبوّة الإسلام فيها تدعو إلى دين الله، إلى الإسلام، إلى الدين الواحد الذي لا يقبل الله غيره من أحد أبداً.

---

(١) الفتح الرباني: ترتيب مسند الإمام أحمد ج ٢٠ ص ١٠٤.

وتوالى الأنبياء المسلمون في أرض فلسطين يدعون بدعوة الإسلام، ويجاهدون في سبيل الله، ويحكمون بالإسلام لا بسواه:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾. (المائدة: ٤٤).

نعم! «يحكم بها النبيون الذين أسلموا»! هذا هو جوهر فلسطين ومحور قضيتها على مدى الزمن كله. إنها قضية النبوة التي أسلمت لله وحده لا تشرك به شيئاً.

الله الـذي لا إله إلّا هو، إله واحد وربٌّ واحد، ودين الله واحد هو الإسلام:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾. (آل عمران: ٨٥).

وكلما انحرف الناس عن هذا الدين الواحد بعث الله لهم الأنبياء والرسل ليردّوهم إلى دين الله. وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، حتى بُعث محمد ﷺ خاتمُ الأنبياء والمرسلين للناس كافّة.

امتدت النبوّة المسلمة في أرض فلسطين. ولما انحرف بنو إسرائيل عن الإسلام، بعث الله عيسى عليه السلام ليعيد الإسلام إلى فلسطين

ويعيد فلسطين إلى الإسلام . ولقد ولد عيسى عليه السلام فيها ورفع منها .

ولما بُعث محمد ﷺ كان المسجد الأقصى هو القبلة . وأُسْرِي به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأَمَّ الأنبياء فيه .

وهكذا تتجه النبوّة إلى فلسطين : تُهاجرُ إليها (إبراهيم ولوط عليهما السلام)، أو تدخلها حرباً (قوم موسى عليه السلام)، أو يولدون ويبعثون فيها (داود وسليمان وزكريا ويحيى عليهم السلام وغيرهم ممن لا نعلمهم، الله يعلمهم، وعيسى عليه السلام)، أو يُسرى به إليها وهو خاتم الأنبياء محمد ﷺ .

آية بيّنة من آيات الله ، تُبيّن لنا منزلة فِلسطين وقدسيتها، وتبيّن لنا حرص الإسلام عليها حرصاً شديداً، وتبيّن لنا السبب الهام لهذا الحرص الشديد .

لماذا أخذت فلسطين هذا البعد العظيم في دين الله؟! لقد بيّنا فيما سبق أهمية موقعها، وأهمية طبيعتها، وعرضنا الأحاديث الشريفة التي أكدت هذه الأهمية، وبيّنا هجرة الأنبياء إلى فلسطين ودعوتهم فيها، وجهادهم فيها. ومنها رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وإليها أُسري بمحمد ﷺ ، وإليها اتجهت كتائب المؤمنين على مدار التاريخ ، وفيها تدور أعظم ملاحم التاريخ ، وأشد صراع بين الحق والباطل .

لماذا أخذت فلسطين هذا الدور العظيم؟!

إنّها مشيئة الله في أن يكون لفلسطين دور عظيم مُمْتَدٌّ في حياة الإنسان على الأرض. ومن خلال هذاالدور ترتبط ببلاد الشام كلها، وتتسع رقعة الملاحم مع هذا الارتباط. ومن خلال هذا الدور العظيم ترتبط بمكة المكرّمة والمدينة المنوّرة وبالجزيرة العربية كلها، لتكون هذه الأرض كلها دار الإسلام، ولتخرج من هذه الأرض خير أُمة أُخرجت للناس، هي أُمة الإسلام تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، ولتحمل هذه الأُمة المسلمة أعظم رسالة في تاريخ الإنسان، رسالة الإسلام ودين الله إلى عباده.

أعظم موقع في الأرض، لأعظم أُمة، لأعظم رسالة، لتكون هذه الأُمة المسلمة الواحدة العظيمة، في هذا الموقع العظيم، بهذه الرسالة الرّبانيّة العظيمة، أُمة وسطاً، ولتكون شهداء على الناس:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ... ﴾

(البقرة: ١٤٣).

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ... ﴾ (آل عمران: ١١٠).

ومن هنا تبرز أهمية فلسطين في ميزان الإيمان ودين الإسلام. إنها

أهمية نابعـة من التـوحيد، ومن أمـر الله لعباده المؤمنين . فإن كانت فلسطين مفتاح الشرق فهي كذلك مفتاح دار الإسلام كلها، لتؤدي دار الإسلام أعظم مهمة في تاريخ البشرية كلها!

ولقد شهدت فلسطين بسبب دورها الهام هذا جميع أنواع الصراع . فمن صراع القنا والرماح والقتال والصدام، إلى صراع الفكر والعقيدة، وصراع الأدب والعلم والثقافة، إلى صراع السياسة والمال والاقتصاد، إلى غير ذلـك من أشكال الصراع . وفي جميع الحالات كان الصراع صراعاً بين الحق والباطل في جولاته الكبرى وملاحمه العظيمة .

ولقـد عرض لنا منهاج الله نماذج وإشارات إلى هذا الصراع وإلى امتداده : فمن هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام، إلى زحف موسى وقومه، إلى زحف يوشع بن نون، إلى جهاد داود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السـلام . ومعـركـة طالوت وجالوت، وزحف كتائب المؤمنـين من مدرسة محمد ﷺ، وستظل هذه الملاحم ممتدة في تاريخ الإنسـان حتى تقـوم الساعة . ففيها، في فلسطين يدرك عيسى عليه السلام الدجال عند باب «لُـدٍّ» فيقتله، لتكون هذه الجولة من أمارات الساعة .

إنها أمانة في عنق الأُمة المسلمة، أمانة مرتبطة بالإيمان والتوحيد، بنبوة الإسـلام على مدار التاريخ، برسالة الإسلام، دين الله الحق!

إذا ادّعى اليهود أيَّ حق في فلسطين على أساس التوراة، فإنه ادعاء

كاذب نابع من تحريف التوراة وتبديل كلام الله. فإنَّ الله واحد، وإن الدين واحد، وإن وعد الله واحد في التوراة والإنجيل والقرآن. إنه وعد للمؤمنين الموحّدين الصادقين على مدى الدهر كله. إنه ليس وعداً لجنس أو دم أو عنصر، أو قوم خاصين. كيف يعد الله وعداً ثابتاً على الزمن لجنس وهو رب العالمين، وهو رب المؤمنين، وهو وليّهم، وهم أولياؤه من دون الناس. فليس أولياؤه جنساً محدداً من البشر، أو دماً يدعي التميّز، وقد نبذ الإسلام في جميع العصور عصبية الجنس والدم:

﴿... وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (الأنفال: ٣٤).

والتاريخ يكشف لنا جانباً هامًّاً من هذه القضية. فالتّاريخ يبيّن لنا حرص أعداء الإسلام على غزوها واحتلالها، حرصاً ممتداً مع التاريخ. ونرى أحاديث رسول الله ﷺ وهي تحضّ المسلمين على الرباط فيها، والجهاد في سبيل الله فيها، نراها تكشف لنا سبب هذا الحضّ والتشجيع. ففي الحديث الذي ذكرناه قبل قليل يرد معنا «... **ألا وإن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام**». وكلمة «الفتن» هذا تحمل ظِلّين في وقت واحد. الأول أن هذه الأرض هي ملك الإسلام والمسلمين في أصلها. والثاني أن الصراع يدور فيها صراعاً ممتدّاً مع الزّمن. وما كان الصراع ليُسَمَّى فتنةً لولا أنها أرض الإسلام. ومن مجموع الأحاديث

والآيات نرى هذه الفتن ممتدة في التاريخ ، وأن ملاحم الإسلام ماضية بقدر الله ، وأن المسلمين لن يتخلوا عنها ، ولو هُزموا في جولة ، فلابدَّ أن تظلَّ الفئة الظاهرةُ على الحقِّ ماضيةً في الأرض مع الزمن تجاهد في سبيل الله ، كما بيّن لنا رسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة . ومنها :

عن ثوبان رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : **«لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»** . (رواه مسلم) . [1]

على ضوء هذا التصوّر يجب على المسلمين أن يرسموا نهجهم ، ويضعوا خُطتهم ، وكما يقولون اليوم ، أن يضعوا «استراتيجيّتهم» ، ثمَّ يرسموا تفاصيل دربهم .

إن هذا هو أمر الله ورسوله للمسلمين على مدى الدهر وإنها أمانة حملوها ، فأوفوا بها زمناً ، فلا يتركوها أبداً ، فالله محاسبهم على ذلك في الدنيا والآخرة .

وإذا سقطت فلسطين بيد الأعداء ، أصبح سقوط سائر بلاد الشام محتملاً . فإذا تمَّ هذا ، لا سمح الله ، فُتح العالم الإسلاميّ كلُّه أمام الأعداء ، ليهدِّدوا الأرض الممتدّة كلها ، والأُمة الممتدة كلها ، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً .

من أجل هذا الخطر العظيم الذي يُهدِّد كلَّ مسلم في الأرض ، جاء

(١) صحيح مسلم . كتاب (٣٣) . باب (٥٣) . حديث : (١٧٠/١٩٢٠) .

التـوجيه الـرّبانيّ، والإلحاج النبويّ، ليرابط المسلمون في هذه الديار مرابطة دائمة لا تتوقف، ليحموا العالم الإسلاميَّ كله.

والنّـداء ليس موجّهاً لشعب دون شعب، أو لفئة دون فئة، وإنما للمؤمنين في الأرض جميعاً، للمسلمين جميعاً، لأمة الإسلام كلِّها صفّاً واحـداً كالبنيان المـرصوص. هذا الذي أَمر به الله وبلّغه رسوله محمد ﷺ.

إن الله سبحانه وتعالى لم يأمر المسلمين أن يكونوا شيعاً وأحزاباً، ولا شعوباً متفرّقة وأَقطاراً. فإن فعلوا ذلك وتاهوا في شقاقهم وتفرّقهم فهو الإثم الذي يحاسبون عليه كلهم يوم القيامة ويُبْتَلون بنتائجه في الحياة الدنيا.

إن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى المسلمين أُمَّة واحدة، كما أمرهم أن يكونوا، فإن لم يستجيبوا فأَي بلاء من الله ينزل بهم.

وربما ظنّ شعب واحد أنه قادر على معالجة مشكلاته وحده. فإذا همَّ وسعى اكتشف هولَ ما يلقاه. ويؤخذ المسلمون بعد ذلك طائفةً طائفةً إلى مجازر تتناوبهم. انظر إلى لبنان، إلى الصومال، إلى الهند، إلى الفليبين، إلى سيرلنكا، إلى العالم العربيّ! انظر إلى العالم الإسلامي كله بلداً بلداً، فهل ترى بلداً يخلو من مشكلات تهدده، وأَخطار تحيط به؟!

إن النوازل التي وقعت حتى هذه اللحظة كافية لتوقظ أَشْدّ خلق الله نوماً وغفوة. فهل سيستيقظ القلب المؤمن يقظةَ إيمانٍ وتوحيد، يقظة

وعيٍ وعِلم ومسئولية؟! هل سيستيقظ الإنسان المسلم قبل أن يقوى التَّيار فيجرف، ويمتدُّ الطوفان فيسحق؟!

من الـواضـح البـيّن أن بناء دولة لليهود في أرض فلسطين وبلاد الشام، يُمثِّل العمود الفقريّ لسياسة أعداء الله في العالم الإسلامي. فهذه القضية هي مجمع سياساتهم، وملتقى أطماعهم، وهكذا كانت في الماضي. ألا يجـب إذن أن يكون استرداد فلسطين كاملة كما أمر الله ورسـولـه، لتكـون جزءاً من دار الإسلام؟! ألا يجب أن تكون هذه القضيّة هي العمود الفقريّ للسياسة الإسلامية في الأرض، وأن تكون مجموع سياساتنا، وملتقى أفئدتنا وعزائمنا، ومصبّ جهودنا ورباطنا وجهادنا، كما أمر الله ورسوله؟!

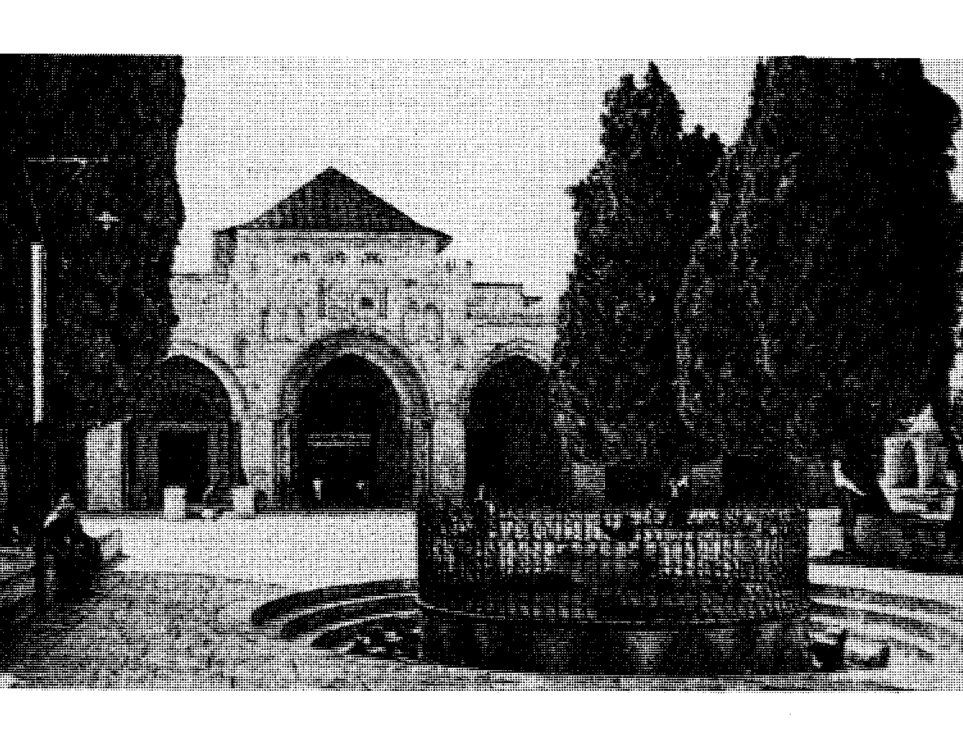
ومن الواضح البيّن أن بناء دولة لليهود يُمثِّل الإصرار والتصميم، والنهج والتخطيط، لدى أعداء الله، أفلا يجب أن تكون قضية فلسطين موضع إصرار المسلمين وتصميمهم، وأن يكون إنقاذها محور نهجهم وتخطيطهم؟!

وحين نردُّ قضية فلسطين بكل تاريخها وأحداثها إلى منهاج الله قرآناً وسنة كما أمرنا الله سبحانه وتعالى، نعرف عندئذ بسهولة أين أخطأنا فيما مضى، ونعرف كذلك واجبنا في مقبل الأيام.

ولقد حاولنا ذلك في كتابي: ملحمة فلسطين، وعلى أبواب القدس، وحددنا بعض أخطائنا ورسمنا بعض معالم المستقبل، وأوجزنا في هذه

الملحمة ذلك على قدر جهدنا.

ونوجز ذلك كله في هذه العجالة بأن محور مسئولياتنا هو بناء الأُمة المسلمة الواحدة صفّاً واحداً وبنياناً مرصوصاً، تلتفُّ كلها على إيمان وتوحيد، وعلى منهاج الله قرآناً وسنّة ولغة عربيّة. ويمضي ذلك من خلال واقعنا اليوم، لنثِبَ منه على نهج ووعي إلى الأهداف المجلوّة التي حدّدها الله لعباده المؤمنين.



صورة أمامية للمسجد الأقصى ويرى في مقدمة الصورة مكان الوضوء.

الفصل الثالث

المسجد الأقصى

١ - موجز تاريخي :

المسجد الأقصى قاعدة هامة من قواعد الإيمان والتوحيد في الأرض، وقلعة من قلاع الإسلام، بناه الإسلام وعمره الإيمان ورعته كتائب التوحيد على مر الزمان، وارتبط بسائر قواعد الإيمان وحصونه وقلاعه، ارتبط بالمسجد الحرام في مكة المكرّمة، وبالمسجد النبويّ في المدينة المنوّرة، ونزل الوحي الكريم يثبّت هذه الرابطة والعروة الوثقى في أمة الإسلام، الأمة الواحدة، في آيات كريمة وأحاديث شريفة، في منهاج الله قرآنا وسنّة ولغة عربية.

لقد كان المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين قبل أن تتحوّل القبلة إلى الكعبة المشرّفة. وإليه أسرى الله بعبده محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين. ومنه عُرِج به إلى السماء، إلى سدرة المنتهى. فخصّه الله بهذه الآية البيّنة والمعجزة الباهرة.

والمسجد الأقصى هو في الأرض المقدّسة، في الأرض التي باركها الله، في أرض المنشر والمحشر، في أرض الرباط والملاحم.

وبهذا الارتباط الوثيق بين قواعد الإيمان هذه وقلاعه نفهم حديث رسول الله ﷺ: **فعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»** (رواه الستة والإمام أحمد)[1]

لقد سبق أن ذكرنا عدداً من الأحاديث الشريفة التي تُبيِّن منزلة المسجد الأقصى وارتباطه الوثيق بأرض الإسلام وبدين الإسلام وبأمة الإسلام، حتى لم يعد ارتباطه بجنس أو دم، وإنما هو ارتباط إيمان وتوحيد، وأمانة وعهد وميثاق. إنها قلاع الإيمان في الأرض وحصونه. أولها المسجد الحرام وثانيها المسجد الأقصى.

فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثمَّ أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». قلت: ثمَّ أي؟ قال: ثمَّ حيث أدركتك الصلاة فصلِّ فكلها مسجد».
(رواه الشيخان وأحمد)[2]

---

(١) سبق تخريجه في الافتتاح ص (٥).

(٢) مسند الإمام أحمد: ٥/١٥٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠. والفتح الرباني: ٣/٤٥، ٢٠/٨٥. مسلم: كتاب (٥). باب (٥). حديث (٥٢٠). فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب (٦٠) باب (١٠). حديث رقم (٣٣٦٦). طبعة دار المعرفة.

إذن بُني المسجد الأَقصى ليُعبَد الله وحده فيه، بناه المسلمون المؤمنون ليقيموا شعائر الإسلام فيه، وليكون قاعدة الإِيمان والتوحيد، وليرتبط بالمسجد الحرام الذي بُني قبله هذا الارتباط الثابت في القرآن والسنّة، وفي تاريخ الأُمة المسلمة الواحدة الممتدّة مع الزمن.

لم يبْن المسجد الأَقصى إذن جنس محدّد، ولم يُبْن لجنس محدَّد، ولا لدم ولا لعصبية جاهلية، ولا لشرك أو وثنيّة إنما بُني قاعدة إيمان وقلعة توحيد، وظلّ أَمانة في عنق الأُمة المسلمة كلها، على امتداد العصور والأَجيال، وعلى امتداد الشعوب والأَقوام، وعلى امتداد الأَرض. إنه أَمانة في عنق كل مسلم في الأَرض، وضعها الله ليبتلي المؤمنين وليُمَحِّص ما في قلوبهم وليميز الخبيث من الطيب.

هذه القواعد الثلاث، والقلاع الثلاث، هي منائر الإيمان والتوحيد في الأَرض كلها إلى أَن تقوم الساعة. وهي كلها أَمانة في عنق الأُمة المسلمة، أَمانة لا تتجزّأ وقد ربطها الله، ولا تتفرّق وقد جمعها الله.

ولقد بلغ من أهمية المسجد الأَقصى وأهمية ارتباطه بالإسلام أَن رأَى بعض الصحابة دفن رسول الله ﷺ فيه، لأنه موضع دفن الأنبياء ومنه معراجه. ومنهم من رأى دفنه في مكة، ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روى عنه ﷺ: **«الأنبياء يدفنون حيث يموتون»**.[1]

ومع أَول عهد الانتداب في فلسطين بدأ اليهود يعلنون عزمهم على

(١) الملل والنحل للشهرستاني. طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ (ص: ٢٢).

أخـذ المسجـد الأقصى، فكـانت ثورة الـبُراق في فلسـطين سنـة (١٩٢٩م)، حين حاول اليهـود إقـامـة صلواتهم عنـد حائط البراق النبوي، وهذا المكان يعتبر المكان الذي ربط فيه رسول الله ﷺ البراق.

وهـذا المكان يسميه اليهود ادعاء باطلاً حائط المبكى. وهو الجزء الغـربي لجدار الحـرم الشريف. وكـانت حجة مطالبتهم بهذا المكان الإسلامي أن بعض الحكام المسلمين سبق أن سمحوا لليهود بالبكاء فيه. وقـد تكـوّنت لجنـة دولية للنـظر في هذه الـدعـوة البـاطلة سنة (١٩٣٠م) بقرار من عصبة الأمم وصدر قرار اللجنة كما يلي:

«للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربيّ، ولهم وحدهم الحقُّ العينيّ فيه، لكونه جزءاً لا يتجزّأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أمـلاك الـوقف. وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات الخير والبر».

وكنـا نتمنى أن يكـون القـرار صدر بحق المسلمـين وحـدهم في فلسطين كلها، لا في الحائط الغربي وحي المغاربة والرصيف وما شابه ذلك. ولكنها كانت جولة من الجولات، وكان اليهود يخططون لجولات أخرى، جولات إعلامية واقتصادية وعسكرية، لا يرتجلون أعمالهم، تسندهم في ذلك كله قوى دولية كبرى.

واستمر الصراع حتى احتل اليهود مدينة القدس سنة ١٩٦٧م، في

هزيمة مخزية للمسلمين، كشفت نواحي الضعف المروّع في كثير من ميادين الحياة.

ثمَّ كانت الجريمة المروّعة بمحاولة حرق المسجد الأقصى على مرآى العالم ومسمعه، وعلى مرآى العدالة الدولية كلها.

ففي الساعة السابعة من صبيحة يوم الخميس ٨ جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ، الموافق ٢١ آب ١٩٦٩م، استيقظ أهل القدس على لهيب ودخان ينبعث من قلب المسجد الأقصى. وتباطأ اليهود في إحضار الإطفاء، وهرع الناس يطفئون النيران بكل وسيلة ممكنة بأيديهم وأجسامهم، وبالماء وبسواه. فالتهمت النيران الجناح الشرقي من المسجد المعروف بمسجد عمر، كما التهمت سقف المسجد الجنوبي ومحراب صلاح الدين والمنبر التاريخي العظيم، المنبر الذي أعده نورالدين الزنكي للمسجد الأقصى، والذي نقله صلاح الدين الأيوبي إليه من حلب حيث كان قد أعد. كما أتت النار على كثير من التحف والآثار التاريخية.

يضاف إلى ذلك أعمال الحفر التي مازالت مستمرة، يقوم بها اليهود بحثا عن هيكل سليمان.

وكانت ردود الفعل الإسلاميَّة كبيرة واسعة ولكنها ردود فعل أمة غافية، تكثر الهرج والتصريحات، ولا تقوى على التخطيط والتنفيذ والإنقاذ.



منبر صلاح الدين الأيوبي الموجود داخل المسجد الأقصى قبل الحريق.

آثار منبر صلاح الدين بعد الحريق

ويظل اليهود يعلنون في كل موقف باطلهم، ويدّعون بأن لهم حقاً دينياً في الأقصى والقدس بل وفي كل فلسطين، ويستندون في دعم باطلهم هذا على التوراة المحرفة. ولقد ظلّوا يردّدون باطلهم، ويقيمون المؤسسات التي تدعو له حتى صدّقهم فريق واسع من الناس. وسكتنا نحن عن حجة القرآن والسنّة، عن الحجة الواضحة البيضاء، حتى نسيتا الناس ونسوا حقّنا.

وكثير من المسلمين اليوم لا يعرفون عن الأقصى وتاريخه وحقوقهم فيه، وعن فلسطين وحقوقهم فيها، إلا القليل القليل. وفي كثير من المعلومات، إن وجدت، غموض وأوهام، لا وضوح وعلم.

المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم يشمل الحرم القدسي الشريف كلّه. وهو أولى القبلتين. ولكن الناس اليوم درجوا على تسمية المسجد القائم إلى جنوب مسجد قبّة الصخرة المشرّفة بالمسجد الأقصى. ويسمى الفرنجة هذا المسجد الأقصى «بجامع عمر» نسبة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي بنى مسجداً في البقعة المباركة المشهورة بالحرم الشريف. ولكن هذه التسمية خاطئة لا تنطبق على الواقع التاريخي. ذلك لأن المسجد الذي أمر ببنائه عمر رضي الله عنه كان يحاذي السور الشرقيّ، أي شرقي بناء المسجد الأقصى الذي نراه اليوم والذي وقع فيه الحريق. وكان مسجد عمر مترامي الأطراف، سقفه من خشب، يتسع لحوالي ثلاثة آلاف من

المصلين. وقد تمّ بناؤه في السنة الثامنة عشرة للهجرة، وفي رواية أخرى، في السنة الواحدة والعشرين. ولكن هذا المسجد ـ مسجد عمر ـ اندثرت آثاره عند بناء مسجد قبّة الصخرة المشرّفة.

أما البناء الذي يعرف اليوم بالمسجد الأقصى، والذي يقع إلى الجنوب من مسجد قُبّة الصخرة، والذي وقع فية الحريق سنة ١٩٦٩م، فهو جامع أثري بديع الهندسة بناه المهندسون المسلمون. وقد ذكر المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» أن باني هذا المسجد الأقصى هو عبدالملك بن مروان. ورواية لآخرين تقول إن بانيه هو الوليد بن عبدالملك الذي تولى الخلافة من سنة ٨٦هـ حتى توفي سنة ٩٦هـ. ومن المحتمل أن يكون عبدالملك بن مروان قد بدأ في بنائه ثمَّ أتمّه الوليد بن عبدالملك.

واستمرّت عناية المسلمين في صيانته وتجديده وترميمه على مرّ السنين منذ ذلك العهد. ففي منتصف القرن الثاني أمر أبو جعفر المنصور بإعادة بنائه وتجديده. ثم قام ولده الخليفة المهدي بتصليح ما تصدَّع من جدرانه سنة ١٦٣هـ، ثم بنى الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله أقساماً عديدة سنة ٤٢٦هـ (١٠٣٤م)، منها القبُّة والأبواب الثلاثة الوسطى وأقواس الرواق الكبير وأركان القبّة والأبواب السبعة شمالي المسجد. وقام صلاح الدين الأيوبي بالعمارة اللازمة للمسجد بعد فتحه للقدس، فبنى فيه المحراب، وأمرَ بنقل المنبر الشهير الذي كان قد أمر

بصنعه نورالدين الشهيد خصوصاً ليوضع في المسجد الأقصى، أمر صلاح الدين بنقله من حلب إلى المسجد الأقصى، وهو المنبر الذي حرقه اليهود في جريمتهم النكراء. وقد تمَّ تغطية سطحه بالرصاص سنة (٨٨٣هـ) في عهد الملك الأشرف قايتباي. وأجرى الخلفاء العثمانيون إصلاحات عامة ورعاية وصيانة دون إجراء تجديد فيه. وقد قام مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى سماحة الشيخ محمد أمين الحسيني بمشروع واسع لتعمير المسجد الأقصى على أثر الزلزال الذي وقع في فلسطين سنة (١٩٢٧م) وبسبب الوهن الذي أصابه وبعض التصدّع والتشقق لطول العهد وتقادم الزمن. فكتب سماحته إلى زعماء العالم الإسلامي وقادته في ذلك، وتكوّنت لجنة فنّية من كبار المهندسين برئاسة المهندس التركي كمال الدين بك أستاذ الهندسة في جامعة استانبول. وقد شمل الإصلاح تجديد نوافذ الجصّ الملوّنة، سبك صفائح الرصاص في القبّة وإصلاحها، تجديد الأعمدة وبعض الجدران، إصلاح قبّة مسجد الصخرة وعدد من المآذن، وغير ذلك من الإصلاحات التي جددت البناء وقوّته ودعّمته. ولدراسة بعض الإصلاحات الفنّية تكونت لجنة من المهندسين ورجال الآثار من العالم الإسلامي، بسبب ضعف الأساسات وانهراس الشدّادات الخشبية الرابطة للأقواس.

وفي سنة ١٩٣٨م تكونت كذلك لجنة فنّية لدراسة حالة المسجد

الأقصى من المهندسين المصريين المختصين بالآثار، وجرى تنفيذ اقتراحاتهم وملاحظاتهم. وأجرى الملك الحسين إصلاحات في مسجد قبة الصخرة سنة (١٩٥٨م) ساهم في الإنفاق عليها قادة العالم الإسلامي، لدعم أموال الوقف، وأشرف عليها لجنة فنيّة.(١)

نخلص من هذا كله لنوضّح أن «المسجد الأقصى» الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الإسراء يشمل ساحة الحرم الشريف كلها. ويقوم حالياً في هذه الساحة مسجد قُبّة الصخرة الشريفة، والمسجد الذي تحدثنا عنه أعلاه والذي يُعرف بالمسجد الأقصى. كما أنه كان هنالك مسجد أمر ببنائه أمير المؤمنين، خليفة رسول الله ﷺ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولكن مسجد عمر هذا اندثرت آثاره عند بناء مسجد قُبّة الصخرة المشرّفة.

٢ ـ اطماع اليهود فيه وفي أرض الإسلام وفي العالم:

يَدَّعي اليهود أن هيكل سليمان عليه السلام يقوم تحت ساحة المسجد الأقصى. ويدّعون باطلاً عظيما أن سليمان وغيره من الأنبياء كانوا يَدْعون إلى دين يهودي، دين يقوم على الدم والجنس والعصبية. ولكن الحقيقة هي أن سليمان والأنبياء كلهم في جميع العصور، وفي جميع الأمم والشعوب، مسلمون يدعون كلهم لدين واحد، هو دين

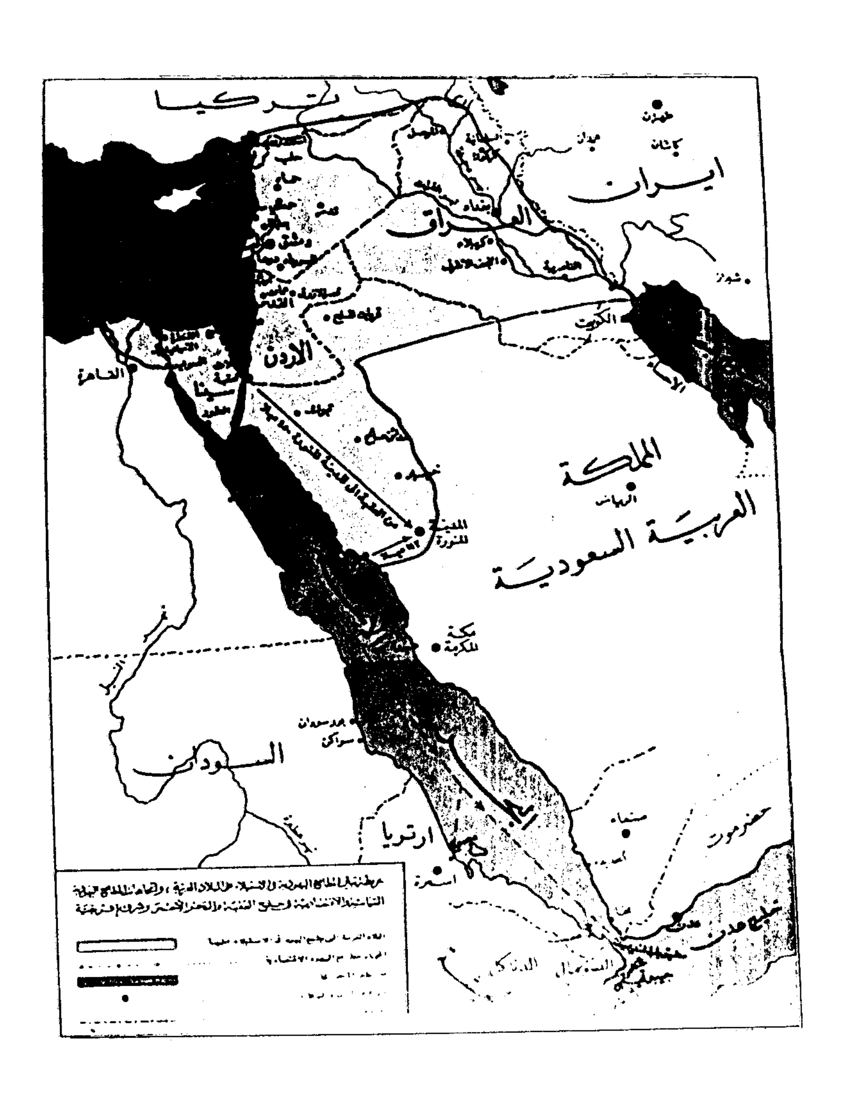
(١) من كتاب الجريمة اليهودية النكراء إحراق المسجد الأقصى المبارك، أصدرته الهيئة العربية العليا لفلسطين.

الإسلام، ويدعون لعبادة إله واحد هو الله الذي لا إله إلا هو، ربّ السموات والأرض، رب العالمين ورب العرش العظيم، له الأسماء الحسنى كلها. يدعون كلهم لدين واحد، هو الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه، والذي خُتم بالنبي والرسول الخاتم محمد ﷺ. والأنبياء لا يورّثون درهماً ولا ديناراً، ولكنهم يورثون ديناً وإيماناً وتوحيداً، هو الإسلام، دين الأنبياء كلهم. فالله واحد وله دين واحد.

في الحرب العالمية الثانية عثرت السلطات الألمانيّة في بيت روتشلد في مدينة فرانكفورت على خزانة حديديّة تضمُّ أوراقاً سرِّيّة بالغة الأهمية، كان من جملتها خريطة وضعها زعماء اليهود لمملكة إسرائيل كما يريدونها أن تكون. وتشمل هذه المملكة مايلي: فلسطين كلها، شرق الأردن، لبنان، سوريا، العراق حتى جبال كردستان، شبه جزيرة سيناء والدلتا من الأراضي المصرية، وشمالي بلاد الحجاز حتى المدينة المنوّرة ذاتها.

ولقد كان اليهود يخفون هذه المطامع. ثمّ بدأوا يعلنون ما يخفون، ثم يعلنون جزءاً مما يخفون حتى يحققوه. فإذا حقّقوه أعلنوا جزءاً آخر، يستفيدون خلال ذلك من غفلة المسلمين، ومصالح المجرمين، وفساد المنافقين. والآن بدأوا يعلنون بوضوح وصراحة أن أرض فلسطين ضيقة عليهم...!

لقد حدد «آريه ألتمان» أحد زعماء حزب حيروت اليهودي الذي كان



المطامع اليهودية الخطيرة في فلسطين والاقطار العربية.

يرأسه الإرهابي اليهودي المجرم مناحم بيغن، حدّد حدود دولة إسرائيل في خطاب ألقاه في القدس المحتلة، في شهر مارس ١٩٥٢م بقوله:

«إن إسرائيل الكبرى الممتدة من العراق إلى السويس هي الدولة القوّية التي تستطيع تأمين السلام والاستقرار في الشرق الأوسط. وعلينا أن نُفهم العالم بصراحة أن إسرائيل في حشدها اليهود من أنحاء العالم وتكتيلهم بسرعة من شأنها أن تخلق حدوداً لها بين العراق والسويس وعندئذ تصبح حصن الديمقراطية في هذا الشرق».

يجب أن نفهم هنا من كلمة «حصن الديمقراطية في هذا الشرق» أنها تعني أن تكون الحصن والقاعدة لحرب الإسلام والمسلمين وإخضاعهم وإذلالهم، ونهب خيراتهم وتأمين مصالح الدول الديمقراطية الغربيّة والشرقية.

ويقول بن غوريون في المقدمة التي كتبها للتقويم السنوي الرسمي لحكومتهم سنة ١٩٥٠م - ١٩٥١م: «نحن لم نرث بلاداً واسعة، ولكننا وصلنا بعد سبعين سنة إلى أولى مراحل استقلالنا في قسم من بلادنا الصغيرة».

وقال مناحم بيغن في خطاب له في الكنيست اليهودي: «لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا أرض لإسرائيل ما دمنا لم نحدد وطننا بأجمعه، حتى ولو وقعنا معاهدة الصلح».

وتوالت تصريحات زُعماء اليهود تعلن هذه الأَطماع الممتدة بكل

وقاحة على العالم، يتحدّون كل قرارات الأُمم المتحدة وكل قرارات مجلس الأَمن، ويقتلون ويغتالون، ويرتكبون أَبشع الجرائم، على مرأى ومسمع «العدالة الدولية وشرعها وأجهزتها».

وبلغ من استخفافهم بالمسلمين وتحدّيهم أَن نقشوا على واجهة الكنيست عبارة: «من النيل إلى الفرات أرضك ياإسرائيل». وعندما أَنشأت السلطات العسكرية البريطانية جسراً على نهر الفرات أثناء الحرب العالمية الثانية، عند مدينة الرقة شمالي سورية، بواسطة شركة «هاسوليل بونيه» اليهودية، كتب اليهود على قاعدة الجسر باللغة العبرية: «هذه هي الحدود الشمالية لمملكة إسرائيل».

وبالإضافة إلى الوثائق الرسمية التي تثبت أَطماع اليهود في الحجاز، فقد توسط روزفلت وعرض على الملك عبدالعزيز آل سعود مبلغ عشرين مليون جنيه ذهباً مقابل إعطاء اليهود شمال الحجاز حيث يعتقدون أَن بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع كانت تقيم، وكذلك خيبر وتيماء ووادي القرى. وقد تمّ العرض في فندق «الفيوم» القائم على بحيرة قارون بمصر سنة ١٩٤٥م. وبداهة رفض الملك عبدالعزيز ذلك العرض وتلك الوساطة ثمّ توسطوا بوسائط أُخرى فباءوا بالخيبة والفشل.

وأَطماعهم في سيناء معلنة دائماً. وفي سنة ١٩٤٨م، وفي سنة ١٩٥٦م، عندما تقدّمت بعض قواتهم إلى سيناء، توقفوا ونزلوا وقبلوا

ترابها. وتقدّم الجيش اليهودي حاخام يهوديّ وعلى مقدمة السيارة نسخة من التوارة.

ادعاء ديني باطل أقنعوا العالم به بالإعلام والإلحاح والتصميم حتى صدّقه الكثيرون، ثمّ التقت المصالح والمطامع في الثروات والخيرات، حتى أخـذوا كلهم يسعون لجعل دولة اليهود قاعدة المطامع وحصن حمايتها، تحت شعار الديمقراطية في أُمة غافلة غافية. وسكتنا نحن عن حقنا الصادق، وخجلنا أن نعلن حجّة القرآن وآية الرحمن، حتى نسي الناس حقنا، وكدنا ننساه نحن أنفسنا.

إن تصريحات اليهود حول زعمهم الباطل أكثر من أن نحصيها كلها هنا، ولكننا أخذنا نماذج فقط.

وقد ورد في دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٢٦م، المجلد ٢٧، ٢٨، صفحة ٩٨٦، ٩٨٧، تحت كلمة «الصهيونيّة»: «إن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل واجتماع الشعب اليهودي في فلسطين واستعادة الدولة اليهودية وإعادة بناء الهيكل وإقامة عرش داود في القدس ثانية وعليه أمير من نسل داود».

ونشر اليهود صورة تمثل زعيمهم هرتزل وهو يدعو جموع اليهود للدخول إلى المسجد الأقصى.

ولقد تسلّم سماحة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني رسالة من رئيس حاخامي اليهود في رومانيا، إبراهام روزنباخ، يلح فيه

بضرورة إباحة المسجد الأقصى ليقيموا فيه شعائرهم الدينية، كما كتب مثل ذلك إلى حكومة الانتداب. وصرّح الوزير اليهودي البريطاني «السير الفرد موند» الذي سُمّي «ملتشت»، صرّح خلال الانتداب البريطاني، فقال: «إن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريباً جداً. ولذا فإني أكرّس ما بقي من أيام حياتي لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى».

وقد أعدّت اليهودية العالمية مخططات هندسية لبناء هيكل سليمان ووزعتها على يهود العالم لجمع التبرّعات.

فهل مِنّا من يكرِّس باقي حياته لحماية المسجد الأقصى؟!

هل منا من يطرق أبواب الجنَّة وهو يسعى لإنقاذ فلسطين؟!

اليهود ماضون في تنفيذ مخططاتهم المدروسة مرحلة مرحلة، يدعمهم في ذلك يهود العالم كلهم، والمجرمون في الأرض أصحاب المطامع، والمنافقون!.

وتولّت «الماسونيّة» العالمية وسائر المؤسسات اليهودية، الدعاية والبذل لهذه الغايات الإجرامية. فقد قدم رجلان أمريكيان نصرانيان رسالة إلى الهيئة الإسلامية في القدس يذكران فيها أنهما عضوان في المحفل الماسوني. يقول أحدهما: «... كمسيحي وكعضو في الماسونية إنني أرأس جماعة من الأمريكيين الذين يرغبون في إعادة بناء هيكل سليمان» وهذا الرجلان هما: جريدي ك. ترى، وأودي ميرفي. بَحْرِّية

تكساس ـ مقر الأميرالية ـ أسطول الهادي. واكتفيت هنا أن أذكر السطرين الأخيرين من الرسالة للإيجاز.

الأمثلة على دعم الدول الغربية والشرقية كلها باختلاف مذاهبها للدولة اليهودية ولتوسعها أمثلة عديدة لا تخضع لحصر. ولكن هل يعلم هؤلاء أن اليهود يخططون للسيطرة على العالم؟!

ففي تصريح خطير للدكتور ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي أعلنه في مدينة مونتريال في كندا سنة ١٩٤٧م، جاء فيه:

«لقد كان ممكناً لليهود أن يحصلوا على أوغندة أو مدغشقر أو غيرهما من الأقطار لينشئوا فيها وطناً يهودياً ولكن اليهود لا يريدون على الإطلاق غير فلسطين. وليس ذلك لاعتبارات دينية أو بسبب إشارات التوراة إلى فلسطين فحسب، ولا لأن أرض فلسطين ومياه البحر الميّت تحتويان على ثروات ضخمة عظيمة، بل لأن فلسطين هي أيضاً ملتقى الطرق بين أوربا وآسيا وأفريقيا، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية، والمركز العسكري الاستراتيجي للسيطرة على العالم».

إذن إلى هناك تمتدّ أطماع اليهود، إلى السيطرة على العالم!

فهل يعي مواليهم وأولياؤهم هذه الأطماع؟. هل تعي البشريّة حقيقة الخطر، ودقّة التخطيط؟!

وهل يعي المسلمون عمق السبات الذي هم فيه؟!

أين اليقظة ومتى؟!

أين الصحوة كما يسميها الكثيرون؟!

ونُذُر الله مقبلة وعقابه شديد!

وزير بريطاني يهودي يريد أن يكرّس باقي حياته لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى!

رئيس الطائفة اليهودية في رومانيا بعيداً عن فلسطين يحمل همّ عبادة اليهود في فلسطين ويريد أن يقيموها في الأقصى!

رجلان أمريكيان مسيحيان عضوان في الماسونية، وهما هناك بعيداً عن فلسطين، يريدان بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى!

وكثيرون آخرون في مشارق الأرض ومغاربها يحملون همَّ الصهيونية وأطماعها ويتقدّمون بجهدهم ومالهم وعلمهم لدعم تلك الأطماع الباطلة!

ونحن، نحن المسلمين، مازلنا نختلف في الفقه حول هل الجهاد في فلسطين: فرض عين أم فرض كفاية!

أما اليهود والمسيحيون ومن والاهم فلم يختلفوا وجاءوا صفًا واحدًا مرصوصًا. فما الذي جمعهم في هذا القرن ومن يقف أمام فساد المجرمين في الأرض؟!.

الفصل الرابع

للمسلمين حق مشهود
ولليهود باطل مردود

لقد طلع اليهود من خلال تاريخهم المليء بالفساد والإجرام على العالم بادعاءات كثيرة باطلة، نسبوها كذباً وزوراً إلى التوراة والإنجيل، ودعم هذا الكذب والباطل إعلام قويٌّ ممتد، وإغراءات واسعة استخدمت النساء الجميلات في فتنة القادة والرؤساء وغيرهم، وكذلك مصالح مادية متشابكة استغلّوها أبشع استغلال، وشهوات متعددة ألهبوها في الناس عامة. وأقاموا مؤسسات وهيئات وحركات ونوادي وأحزاباً وقوى متعددة تدعم هذا الباب كله، ثمّ استخدموا خبرة آلاف السنين من الفساد والإجرام في توجيه هذه الإمكانات كلها. وكان من أكثر ما ساعدهم على بلوغ بعض النجاح هو هوان المسلمين وتراخيهم عن الحق الصريح الذي يكشف بهتان اليهود ومن والاهم.

لقد استغلوا حركة لوثر وكلفن (إن لم يكونوا هم الذين أثاروها) لتقريب بعض المسيحيين إلى أفكارهم بادعاء ضرورة العودة إلى أصل «الكتاب المقدس» أي «العهد القديم» أي «التوراة» وعامة المسيحيين، كما ذكرنا، لا يأخذون الدين بالدراسة والتدبّر والعلم، ولكن باتباع

المـوروث من المعتقـدات دون أي تمحيص. وكانت «الطبقة المجرمة الأولى» قد سبق لها أن حرّفت في التوراة وأدخلت فيها من النصوص مايدعم دعواهم وافتراءاتهم، وما يبرأ منه موسى عليه السلام، ويبرأ منه الدينُ الحقُّ كله.

فإذا علمنا أن تدوين التوراة أول مرّة كان بأيدي بشر، وكان على فترات زمنية متبـاعدة، وبأيدي أشخاص مختلفين اختلفت وسائلهم كذلك. وكان هذا بعد مئات السنين من موسى عليه السلام، فكيف يُطمأنّ إلى عدالة النصوص والروايات؟ ويزيد من الريبة في صحتها التناقض الظاهر بين كثير من النصوص سواء في التوراة أو الإنجيل. وكذلك فإن الإنجيل قد سُجّل لأول مرة بعد عهد يغلب فيه النسيان والخطأ نتيجة طوله وامتداده.

يقـول «روجيه جارودي» في كتـابـه «فلسـطين أرض الـرسالات السماوية»، عن ولادة التوراة مايلي: «. . . في هذا الجوّ من التلفيق والتوفيق ستولد الأسفار الخمسة (التكوين والخروج واللاويون والعدد والاشتراع) وهي نواة التوراة التي تتضمن العقيدة اليهودية»[1]. يقول هنا بعد أن شرح تأثر اليهود في فلسطين بحضارة الكنعانيين وديانتهم، وظهـور هذا التأثر في نمط الحياة والتجارة ونظام الحكم وبناء المعابد

---

(١) روجيه غارودي. فلسطين أرض الرسالات السماوية - ترجمة قصـي أتاسي وميشيل واكيم. الطبعة الأولى ١٩٨٨م - دار طلاس - دمشق. (ص: ٧٩).

واضطراب إيمان بعض اليهود بيهوديتهم. ثم يقول: وفي ظل حكم داود وسليمان ظهرت أولى الوثائق المدونة التي حررها مؤرخو سير الملوك والتي تعد المرجع الصحيح للنصوص التوراتية عند اليهود». ثم يقول: «. . . وخطوة خطوة. . . قامت عملية لملمة المأثورات الشفهية لتشمل تاريخ العالم كله منذ بدء الخليقة. . . وكان نتاج هذه اللملمة هو التوراة التي يدعوها المسيحيون أسفار موسى الخمسة». ثم يقول: «ولم يظهر أي امتحان نقدي له إلا في القرن السادس عشر حينما نبّه «كارل شتات» إلى أن موسى لم يكن ليستطيع أن يروي حكاية موته بنفسه. وبعد قرن من الزمن عام ١٦٧٨م قام الكاهن «ريتشارد سيمون» بنشر كتاب بعنوان «التاريخ النقدي للعهد القديم» يبرز فيه اللامعقولية في التاريخ إلى جانب ألوان التكرار والفوضى في السرد واختلاف الأساليب نافياً بذلك أن تكون أسفار موسى الخمسة كلها من صنع رجل واحد. لقد أحدث ظهور كتاب هذا الكاهن فضيحة كبرى. ثم تتابع النقد والدراسات النقدية لتكشف كلها أن «التوراة» المتداولة اليوم بين أيدي الناس، ليست هي النصوص التي تلقّاها موسى عليه السلام من ربه الله الذي لا إله إلا هو، وإنما هي نصوص دونها بشر بعد مئات السنين من وفاة موسى عليه السلام، وأنها مليئة بالتناقض وغير المعقول والمعارض لأسس الدين، وبعض الأسفار في التوراة كتبت في عهود متقدمة عن الأسفار الخمسة، وبعضها، مثل سفر حزقيال، كتب في

عهد السبي»[1].

إن فكرة «الشعب المختار» هي من اختراع سفر «الاشتراع». وهي فكرة واضح فيها التحريف والخطأ، لأنها تتعارض مع أسس الدين، وأسس التوحيد، كما سنوضح بعد قليل. وإنّ هذه الادعاءات الباطلة لاتمثِّل الدين الذي جاء من عند الله والذي بلغه أنبياء الله منذ إبراهيم عليه السلام ثم من أتى بعده. إن هذه الافتراءات تمثل تحريفاً في الدين أو زوراً أدخلوه، والدين منه براء. وأن هذا التحريف والزور لايمثل شيئاً مقدَّساً يحق لأحد احترامه أو حتى قبوله. لابدّ من كشف هذه الحقائق بدلاً من أن نكرر ادعاءات اليهود والنصارى ونرددها كأننا أبواق دعاية لهم، وكأننا نوحي إلى الناس بتصديقها. إنها باطل مكشوف يجب فضحه وإعلان ذلك بكل وسيلة إعلام

ويمكن في هذه العجالة أن نأخذ أمثلة قليلة على هذه الضلالات، مع يقيننا أنها تحتاج إلى دراسة أوسع ليس هذا مكانها.

إنهم يدّعون «أنهم شعب الله المختار»! وأنهم الشعب المختار حتى تقوم الساعة وهذا ادعاء باطل محرّف عما ذكره القرآن الكريم في أكثر من موضع، حيث يبيّن لنا القرآن الكريم أن الله اختارهم في مرحلة من الزمن، ليبلغوا رسالة الله في تلك الفترة المحدودة في زمن محدود في أرض

---

(١) روجيه غارودي. فلسطين أرض الرسالات السماوية ـ ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم. الطبعة الأولى ١٩٨٨م ـ دار طلاس دمشق. (ص: ٧٩).

محددة، وكان موضع الاختيار والتفضيل هو حمل رسالة الله . فلم يكن التفضيل بالدم والجنس، ولا هو تفضيل ماض مع الزمن كله . ويبقى التفضيل في دين الله، التفضيل الماضي مع الزمن كله هو التفاضل بالتقوى والصدق مع الله وتبليغ رسالته الممتدة مع الزمن، يقوم بها جميع الأنبياء والرسل قبل الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله في بني إسرائيل وبعدهم . ومضت رسالة الله مع الزمن كله يحملها أنبياء ورسل متعددون في الأرض كلها، والأمم كلها :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[النحل:٣٦]

وآيات أخرى كثيرة تؤكد هذا المعنى في كتاب الله . فإذا ذكرت بعض الآيات قضية تفضيل اليهود، فهو تفضيل في ذلك الزمن لحمل رسالة الله كما سبق أن فضل الله غيرهم من قبل، وكما فضل غيرهم من بعد على نفس الأسس، دون أن يعني هذا التفضيل تفضيل جنس على سائر البشر، ولينحصر التفضيل في حمل الرسالة في هذه المرحلة أو تلك :

﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[الأعراف : ١٤٠]

وليتضح معنى التفضيل في آيات كثيرة في القرآن الكريم ليظل دائماً محور التفاضل هو التقوى :

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. [الأنعام: ٨٦].

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ. . .﴾. [الإسراء: ٥٥].

ويبيّن الله سبحانه وتعالى أنه حين اختار بني إسرائيل لتلك المهمة في ذلك الزمن وفضلهم آنذاك على العالمين بهذه المهمة، تلا ذلك هبوط منهم وتخلٍّ عن الأمانة التي كلفوا فيها، فاختلفوا وتنازعوا بغياً بينهم، فضاع التفضيل إذن بهذا البغي والتنازع والعجز:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. [الجاثية: ١٦، ١٧]

ثم يُفصِّل القرآن الكريم في جرائم اليهود في الأرض: فقد قتلوا الأنبياء، وحرّفوا الكتاب، وظلموا وافتروا، وكلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون، وتولَّوا عن أمر الله، واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، حتى لاتكاد تجد معصية إلا ارتكبوها ولا إثماً إلا اقترفوه، فغضب الله عليهم ولعنهم لعناً كبيراً. فكيف يكونون شعب الله المختار مع هذا الفساد كله.

ويضع القرآن الكريم قاعدة التفاضل في الحياة الدنيا ليلتزمها

المؤمنون الصادقون، ولا يخرج عنها إلا المنافقون الكذابون والكافرون.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

[الحجرات: ١٣]

وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «**الناس بنو آدم وآدم من تراب**»[١].

كل عاقل يدرس التوراة والإنجيل ويدرس تاريخ اليهود يدرك وحده أن الله أعدل وأرحم بخلقه من أن يجعل هؤلاء «شعب الله المختار». ولكنها مرحلة في التاريخ ابتلاهم بالرسالةوبعث فيهم الأنبياء فقصروا عن أداء الـرسالة وعجزوا عن الوفاء، حتى انكشفت خبايا معدنهم وقامت عليهم الحجة التي تخزيهم يوم القيامة.

إن مثل هذا التحريف شائع في حياة البشرية يأتي نتيجة طول العهد وما يتبعه من خطأ ونسيان، أو يأتي كذلك من نفوس مريضة تتعمّده لتثبِّت به باطـلًا تدَّعيه. ولولا أن كتاب الله وسنّة نبيه، لولا أن هذا الذكر الذي أنزله الله على محمد ﷺ تعهَّد الله بحفظه فظل نقيًّا غضّاً كما أنـزل، لولا هذا لأصـابنـا في ديننا من التحريف مثل ما أصاب أولئـك. فكم تعـرّض منهاج الله لمحاولات فاشلة للتحريف أو سوء

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: رقم (١٠٠٩). وعند الترمذي بمعناه رقم (٣٢٧٠).

التأويل. وكما حرّف اليهود مايمكن أن يكون قد قاله الأنبياء والرسل عن منـزلة المؤمنين الصادقين، فجعلوه خاصاً ببني إسرائيل، كذلك أساء بعض من ينتسب إلى الإسلام تأويل بعض الآيات الخاصة بالمؤمنين والأمة المسلمة عامة فجعلها خاصّة بشعب معيّن كالعرب مثلاً، فعلوا كما فعل اليهود ببعض نصوصهم. ونرى مثلاً على ذلك ما أوله بعضهم في قوله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ...﴾ [آل عمران: ١١٠]

وكذلك في قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ..﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهذه آيات تتعلق بالأمة المسلمة الواحدة التي تحمل رسالة الله في الأرض، ممتدّة مع الزمن كله. فهي الأمة المختارة، وهي الأمة المفضلة، وهي خير أمة أخرجت للناس مادامت تتوافر فيها الصفات الربّانية التي فضّلها منهاج الله.

وقضيّة أخرى غالىٰ فيها اليهود في تحريف نصوصها إن صحّ أساس تلك النصوص، وغالوا في فساد تأويلها بشكل واضح مكشوف. هذه القضية هي قضية: «أرض الميعاد وعودتهم إليها وبناء الهيكل». فإن

الله سبحانه وتعالى لم يرسل الأنبياء والرسل ليوزّعوا الكرة الأرضية بين الشعوب، وليخصّ هذا الشعب بهذه الأرض وذاك الشعب بغيرها. إن الأرض كلها لله، هي أرض الإسلام، جاء الرسل والأنبياء ليثبتّوا هذه الحقيقة ولتتكامل مع الرسالات المنزلة من عند الله. وإنما خصّ الله بلاد الشام وفلسطين خاصة فجعلها أرضاً مباركة بالنبوّة الممتدّة التي تبلّغ دين الله، دين الإسلام، وبالموقع المتميز الخاص الذي يسهّل نقل الرسالة وتبليغ دين الإسلام. فليس عند الله شعب أو جنس أثير، ولكنْ عنده دين واحد أثير لايقبل غيره، جاء به كل الأنبياء والرسل:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ . . . ﴾. [آل عمران: ١٩]

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ . . . ﴾. [آل عمران: ٨٥]

ولقد فصلنا في كتاب «فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع»، وكتاب «على أبواب القدس»، وكتاب «ملحمة فلسطين»، لقد فصلنا هناك وبيّنا أن فلسطين حق الأمة المسلمة الواحدة حقّاً تثبته نصوص منهاج الله، ويثبته التاريخ. إنها ليست في دين الله ملكاً لجنس محدد أو دم محدد، ولكنها ملك لدين محدَّد هو الإسلام. وتلك نصوص القرآن والسنة، وتلك صفحات التاريخ. والعقل أيضاً لايقبل فرية اليهود المتناقضة البيّنة الخطأ والضلال. لقد فصلنا في تلك الكتب بما يغني عن

الإعادة هنا. ولكننا هنا نحبّ أن نوضح أن فرية اليهود ليست قائمة على نصوص صحيحة لا في التوراة ولا في الإنجيل. وأن دعواهم تلك ليست قضية دينية أبداً، ولكنها قضية قومية ونزوة طائشة ألبسها بعض علماء اليهود صبغة دينية بتحريف النصوص أو سوء تأويلها أو إدخال نصوص من عند أنفسهم. فالشيء الثابت في ديننا الإسلامي وفي التاريخ، وكما يجب أن يكون ثابتاً عندهم، أن موسى عليه السلام أمر قومه المسلمين الذين آمنوا بدينه الإسلامي أن يدخلوا فلسطين من مصر ليحملوا رسالة الله إلى أهل فلسطين، لاليفسدوا ويقتلوا وينهبوا. فجبنوا وماأطاعوا موسى عليه السلام فعاقبهم الله بالتيه فكيف يكونون شعباً مميزاً بهذا الخور والجبن، وكيف يدعون أن فلسطين لهم وقد أبوا أن يدخلوها؟! ثم قام بهم النبيّ المسلم يوشع بن نون ليتابع المهمة فدخل فلسطين ودعا إلى دين الله ونصره الله. ثمّ انحرف بنو إسرائيل عن دين الإسلام في فلسطين فأفسدوا وعصوا الله وقتلوا الأنبياء، وتآمروا على هؤلاء وهؤلاء في فساد كبير. وانقسموا فريقين: فريق كفر بعيسى وحاربه وتآمر على قتله، وفريق آمن ودخل في دين الإسلام. ثمَّ رفع الله عيسى عليه السلام إليه، وشُبِّهَ لليهود والرومان أنهم صلبوه وماصلبوه وماقتلوه! وكان اليهود أحد الشعوب التي أقامت في فلسطين وحكموا فيها، كما أقام غيرهم كذلك وحكم فيها. ولكنّ الفترة التي أقام فيها اليهود في فلسطين كانت أقل من الفترة التي أقام فيها غيرهم

من الشعوب. أما الإسلام فهو الذي امتدّ فيها أطول فترة وهو الذي جعل الله ملكها له. ولم تكن الحروب الصادقة التي خاضها اليهود حروباً باسم الجنس اليهودي. ولكنها كانت حروباً باسم الإسلام، باسم دين الله الحق، يقودها الأنبياء المسلمون لتمتد بهم رسالة الإسلام فترة من الزمن، ثمّ يتابع عيسى عليه السلام رسالة الإسلام، ثم يتابعها محمد ﷺ وجنوده، معركة واحدة ممتدة مع الزمن كله باسم الإسلام، وديناً واحداً ممتدّاً هو دين الإسلام، ونبوة ممتدة كذلك هي نبوّة الإسلام، كلّ هذا ليصنع في التاريخ أمة واحدة هي أمة الإسلام، كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء فيها، وكان منهاج الله مهيمناً على الكتب كلها.

هذه هي علاقة اليهود في فلسطين. ولكنهم حرّفوا النصوص ليجعلوا القضيّة قضية قومية تتعلّق بجنس واحد دون باقي الشعوب، مما يتناقض مع أسس الدين كله، ومع التاريخ كله، ومع العقل ومقتضيات الفهم الأمين والمنطق. ويروُون أنه ورد في سفر التكوين ما يلي:

«واجتاز إبراهيم الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض. وقال: لنسلك أُعطي هذه الأرض...»[1]. أولاً من كتب هذا النصّ، ومتى كتب؟! كتبه بشر

(١) سفر التكوين. الإصحاح: ١٢.

بعـد غياب النبوة بمئات السنين. فاختلاف لفظة واحدة أو إنقاص كلمة أو زيادة كلمة في نصوص الأديان السماوية قد يغيّر المعنى كثيراً ويفسـد الغاية المرجوّة، فكيف إذا كان التحريف يناقض أساساً من أسس الدين أو يبَدِّل بعض حقائقه أو يخفيها. ذلك لأن الله سبحانه وتعـالى لايرسـل أنبياءه ورسله ليمتلكـوا أرضاً أو عقاراً، ولا ليوزّعوا الأرض بين الشعوب، ولكن ليصلحوا الأرض والناس، وليبلغوا رسالة الله ودينه. فإبراهيم عليه السلام كان مسلماً حنيفاً وماكان يهودياً ولا نصرانياً، وماكان من المشركين. ونسل إبراهيم عليه السلام كان فيه المسلمـون الصـادقون والأنبياء والمرسلون، وكان منهم خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وكان منهم المؤمنون المجاهدون من أكثر من شعب، من العرب الذين اتبعوا دين إبراهيم وإسماعيل، ومن اليهود الذين اتبعوا الـدين نفســه وصدقوا الله فيه. وكذلك كان من نسل إبراهيم عليه السلام ظالمون أفسدوا في الأرض، وكفروا بالله ورسله، وقتلوا الأنبياء. فلا يعقل إذن أن يبارك الله المفسدين في الأرض لأنهم من جنس معين. إن هذا التصور مخالف لأبسط قواعد الإيمان والتوحيد. ولكن الله يبارك المؤمنين الصادقين مهما اختلفت أقوامهم. لذلك جاءت الآية الكريمة في القرآن الكريم على هذا السمو والحق والجلاء:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾. [البقرة: ١٢٤]

هكذا تنفي الآية الكريمة «الظالمين»، ولاتعتبرهم داخلين في عهد الله بعد أن خرجوا هم بظلمهم وكفرهم وفسادهم في الأرض.

ثم تأتي آيات كثيرة تحدّد الذين يحقّ لهم الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام. إنهم المؤمنون الذين اتبعوه ومحمد ﷺ والذين آمنوا به:

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. [آل عمران: ٦٨].

هؤلاء هم نسلُ إبراهيم، هؤلاء هم أولى الناس به. فقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من الشرك ومن أهله:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ. . . ﴾. [الممتحنة: ٤]

ويحدِّد إبراهيم عليه السلام نفسه ذريته التي يعهد إليها كما أمره الله سبحانه وتعالى، وكما حدد ذلك له الله:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾. [البقرة: ١٣٢].

نعم إن الله اختار الدين صافياً من أي شوائب، نقيّاً خالصاً لله رب العالمين. إنه دين الإسلام: ﴿. . . **فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون**﴾.

وكذلك تتوالى الآيات لتؤكد هذا المعنى:

﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ

حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾. [البقرة: ١٣٥].

ويردّ الله دعوى اليهود وافتراءهم ردّاً قاطعاً حاسماً حتى لايبقى لهم حجة أبداً:

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴾.

[البقرة: ١٣٦ ـ ١٣٨]

هذا هو نسل إبراهيم عليه السلام، نسله الذي يعطيه الله ساحة جهاد ويباركه ماصدق الله في رسالته ودعوته ودينه. هذا هو نسل إبراهيم عليه السلام، إنهم المؤمنون الصادقون الذين يحملون رسالة الله. إنهم ليسوا جنساً ولا شعباً محدَّداً ولا دماً معيّناً.

لهؤلاء جعل الله فلسطين. إنها للأمة المسلمة الواحدة الممتدة في التاريخ. ومن هنا جاءت ببركتها ومنزلتها. وكل ادعاء خلاف ذلك هو ادعاء باطل يرفضه الدين والتاريخ والعقل.

وافتراء ثالث خرجوا به على العالم وأثاروا ضجة كاذبة مفتعلة لاتستند إلى حق من دين أو تاريخ أو قانون أو عقل. إنها فرية صاغها بعضهم على مرّ التاريخ ونشروها بإعلام قويّ وأساليب ملفّقة، وانتهاز بشع للظروف والمناسبات. إنها قضية «الهيكل». الهيكل الذي يدّعون أن سليمان عليه السلام بناه لهم، لليهود ولديانتهم التي يدّعونها. وسليمان عليه السلام يبرأ منهم ومما يفترونه عليه وعلى الله. لانستطيع أن نعرض هنا التفصيلات التاريخية ولا النصوص الكاملة في التوراة والإنجيل. ولكننا نوجز ذلك بصورة نأمل أن تكون واضحة.

ففي التوراة إشارات إلى أن إبراهيم عليه السلام بنى مذبحاً للرب. ثمّ نقل من مكانه الأول إلى الجبل شرقي «بيت إيل» ونصب خيمته[1]، وأن الله أمر يعقوب عليه السلام أن يصعد إلى «بيت إيل» ويصنع مذبحاً للرب. ثم يأتي الحديث كذلك عن النبيّ المسلم يوشع بن نون عليه السلام. ثم يأتي الحديث عن النبيّين المسلمين داود وابنه سليمان عليهما السلام، وكيف أن داود عليه السلام نوى أن يبني معبداً ثم عهد بذلك إلى ابنه سليمان عليه السلام، فبناه سليمان وتطنب التوراة في ذكر صفات الهيكل. ثمّ يتحدثون عن الهيكل في التلمود. والتلمود كتاب وضعه رجال الدين عندهم خلال فترة الشتات تفسيراً للتوراة كما

(١) سفر التكوين ـ ١٢. «وبيت إيل». أحد أسماء القدس التي اشتهرت زمن الآشوريين.

يزعمون، ولكنه في حقيقة أمره أفكار بشرية منحرفة يبرأ منها كل أنبياء الإسلام: موسى ويوشع وداود وسليمان وغيرهم. وأصبح التلمود مقدّساً عندهم مثل التوراة. ولكن هذا التقديس جاء من ادعاءات باطلة تزخرف القول البشري. فالتوراة نفسها لانستطيع أن نقول إنها كلام الله فهي صياغة بشرية دُوِّنت بعد عهد يغلب فيه الخطأ والنسيان والزيادة والنقص والتحريف. فلا تأخذ التوراة قدسيتها من أنها كلام الله كما أنزله الله. فكيف تكون للتلمود إذاً قدسية وهي كلها صناعة بشرية مليئة بالأهواء والتناقض؟ وانظر في مثل واحد نأخذه من التلمود لترى مدى الفساد والفتنة والكفر فيه. يقول التلمود: «ومن بعد تدمير الهيكل إلى الآن فإن الله (تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً)، لم ينقطع عن البكاء والنحيب لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة وهذه الخطيئة قد أبهظت ضمير الله، حتى أنه يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشاً على نفسه مالئاً الدنيا زئيراً كالأسد ثم يصرخ: الويل لي لأني تركت بيتي ينهب وهيكلي يُحرق وأولادي يشتتون»[1] أي كفر هذا؟! وكيف يجوز التقديس لكتاب ينصّ على ذلك.

حسبنا على هذا المثل لنرى شدّة الضلالة والكذب والكفر الذي يبنون عليه ادعاءهم بحقهم في فلسطين أو بحقهم في الهيكل.

فلا يوجد في التوراة ولا في الإنجيل أي نصّ ربّاني منزل من عند الله

---

(١) عبدالعزيز مصطفى - قبل أن يهدم الأقصى - دار الوطن - ط٢ - (ص: ٦٦).

يعطي اليهود أو النصارى أو أي دم أو جنس حقاً في فلسطين أو في مايسمونه الهيكل. إنها كلها نصوص وضعتها «الطبقة المجرمة» هنا أو هنـاك، لتحمي بها كذبًا يدَّعونه وزوراً يصوغونه وبهتاناً يفترونه. إن الدين كله بريء مما يقولون، وأنبياء الله كلهم بريئون مما يفترون. ونعيد لنؤكد أن الله سبحانه وتعالى لم يبعث أنبياءه ورسله. ليوزعوا الأملاك والأراضي على شعب دون شعب. لقد بعثهم الله كلهم بدين واحد هو الإسلام. فالله واحد لا إله إلا هو، ودينه واحد لايقبل الله من أحد ديناً سواه وهـو الإسـلام، والأنبياء والمـرسلون رسالتهم واحدة لايعارض بعضها بعضاً، ختمت بمحمد ﷺ. ولذلك حسم الإسلام وكذلك قضية «الهيكل» التي يدّعونها وبيّن أن المساجد لله، كلها لله، لعبادة الله الواحد الأحد، يعبده بها المسلمون المؤمنون الصادقون.

وبـالإضـافـة إلى مارأينـاه من تحريف صريح واضـح في التـوراة والتلمود، فقد تولت منظمات متعددة الدعاية لهذا الباطل، وتورّطت فئات من النصارى في دعم هذا الباطل على الأسس التي عرضناها في أول هذا البحث: فئة لاتؤمن بالتدين ولكن تؤمن بمصالحها وتستغل الـدين وتتـظاهـر به ولكن يفضحهـا تناقضها وإجرامها ومخالفتها في سلوكها لكل دين. هي «الفئة المجرمة» في الأرض. والفئة الثانية هي عامـة النصارى الذين لايعرفون من دينهم إلا ماغرسته الفئة الظالمة الأولى من ضلال وأحقـاد، وما روّجته الدعاية والهيئات والمؤسسات،

يتوارثون هذا الجهل والحقد جيلاً عن جيل، دون أن يتدبّروا أو يبحثوا عن حق.

ولقد جاءت بروتوكولات حكماء (جهلاء) صهيون لتُغذّي هذه الفتنة وتزيدها إجراماً، ولتنقل دعوى اليهود إلى مرحلة جديدة من الباطل هي الرغبة في حكم العالم كله. وقامت الحركة الصهيونية تتبنى ذلك كله وتخطط له وتسعى إلى تنفيذ كل هذه الأهواء والادعاءات والمطامع الباطلة بكل الوسائل الإجرامية. ثم قامت مؤسسات أخرى كلها تدعم هذا الباطل وتتبناه، كالحركة الماسونية والنوادي الإباحية المختلفة كالروتاري وغيره.

ولم يكن لدى النصارى أي مسوّغ لهذا التورط، لولا دعوة لوثر وكلفن، حيث أخذا يناديان بالعودة إلى التوراة. فهل كانا يدركان مدى التحريف والتناقض فيه؟! وأما عامة الناس لا تقرأ ولاتفكر ولاتتدبر. فانحصرت المهمة في الطبقة الأولى، «الطبقة المجرمة»، حين التقت المصالح المادية الدنيوية، فأخذوا يبنون ادعاءات اليهود الباطلة الكاذبة، ويغذّونها بإعلام قوي، وبالمال والرجال والسلاح، ليحمي هذا كله أطماعاً يعبدونها من دون الله، وثروات يلهثون وراءها.

لقد حسم الإسلام بنصوصٍ ربّانيّة ثابتة في كتاب الله وسنة رسوله جميع هذه القضايا، وردّ على ادعاءات هؤلاء وهؤلاء ردّاً حاسماً قاطعاً لاينالُه التحريف ولاالتبديل أبداً. فقد تعهد الله بحفظ الذكر الذي

أنزله على محمد ﷺ رحمة منه بعباده المؤمنين، وحفظاً للرسالة الخاتمة. ولقد أخذنا قبسات في الصفحات السابقة، ونورد هنا حديث رسول الله ﷺ عن المسجد الأقصى:

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: «يارسول الله! أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟» قال: «المسجد الحرام». قلت: «ثمَّ أيّ؟» قال: «المسجد الأقصى». قلت: «كم بينهما؟» قال: «أربعون سنة». وأينما أدركتك الصلاة فصلّ فهو مسجد».

ولقد بنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام المسجد الحرام في مكة المكرَّمة، وبنى إبراهيم عليه السلام المسجد الأقصى مسجداً لله لا لسواه، مسجداً للمؤمنين في التاريخ كله، مسجداً لأمة الإسلام، لأمة محمد ﷺ. فارتبطت النبوّة كلها، والمساجد كلها، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ارتباط رسالة ربانيّة وتوحيد، فليس لليهود ولا لغيرهم ممن كفر بالنبوة ولم يتبع محمداً ﷺ حق فيها. وجاء الإسراء فربط المسجدين بنفس رباط التوحيد. وأمَّ محمد ﷺ الأنبياء اعترافاً منهم بنبوته ورسالته الخاتمة. وعند الإسراء ربط محمد ﷺ البراق عند الحائط الذي نسميه اليوم «حائط البراق»، واليهود يسمونه «حائط المبكى» حيث يبكون، كما يدعون، هيكلهم الذي هدَّمه نبوخذ نصّر البابلي سنة (٥٨٧ ق.م)، ثم هدمه طيطس الروماني سنة (٧٠م)، ثمَّ أدريانوس سنة ١٣٥م، وبنى مكانه معبداً لأحد آلهة الرومان

«جوبيتار». ثم جاء الإسلام فأقام عبدالملك بن مروان وابنه الوليد بن عبدالملك المسجد الأقصى الحالي ومسجد قبَّة الصخرة كذلك. فالمسجد الأقصى كما هو وارد في القرآن الكريم هو المساحة كلها داخل سورها، والتي تمّ فيها البناء على مدار التاريخ.

إن مسجد قبة الصخرة يقوم على قمة الجبل الذي يسمى «موريا» وتسميه التوراة «موريزا»[1]. هناك تهيأ إبراهيم عليه السلام لتنفيذ أمر الله إليه بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، حتى فداه الله بذبح عظيم، وتتحدث التوراة عن اتخاذ يعقوب عليه السلام، كما كان قد اتخذ إبراهيم قبله، وفي هذا المكان أراد داود بناء معبد، ثمَّ بناه سليمان. ومن على هذه الصخرة عُرِج بمحمد ﷺ إلى السماء.

ونعتقد أن هذه المنطقة كانت مقدسة عند الشعوب التي أقامت هناك قبل إبراهيم عليه السلام وقبل اليهود. ذلك أن عبدالله محمد بن شهاب الدين السيوطي في كتابه (إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى) يروي فيقول: «... وهي منطقة مقدّسة عند الساميين القدماء»[2]. ونحن نؤمن أن الله بعث في كل أُمة رسولاً. وقد كشفت الحفريات الحديثة في رأس شمرا سنة ١٩٢٩م، وفي إيبلا سنة ١٩٧٥م

---

(١) روجيه غارودي - (ص: ١٢٥). محمد هاشم موسى غوشة - القدس الشامخة عبر التاريخ - (ص: ٢٧).

(٢) إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى - (ص: ٢٠١). من الجزء الثاني.

عن حضارة في فلسطين قديمة وعن آثار تدل على أشكال من العبادة[1]. فكل عبادة وثنية هي انحراف عن دعوة التوحيد التي أتى بها رسول من الرسل.

لذلك نرى، تأكيداً لما عرضناه سابقاً، أن قدسية هذه الأرض نابعة من رسالة التوحيد ومن النبوة الممتدّة في التاريخ، مما نعلم بعضها كما علمنا إياه الله، ونجهل بعضها الآخر مما استأثر الله بعلمه. فهي مقدّسة برسالة الإسلام الممتدة في التاريخ، وهي حق الأمة المسلمة كما أمر الله بهذا، وهي ليست لجنس واحد كاليهود يدّعون حقهم فيها زوراً وبهتاناً.

على هذه الصخرة قام مسجد قبة الصخرة الذي بناه عبدالملك بن مروان على أرجح الأقوال ليكون آية في الفنّ فاقت بجمالها وتناسقهاكل الآثار التى حفظها التاريخ.

ويقول هايتر لويس: «... أجمل الآثار التي خلدها التاريخ». وأضاف فيرغسون «بأن بناء القبّة فاق «تاج محل»، وأن مافيه من التناسق والجمال الذي لانظير له ليفوق كل أثر آخر في العالم». أما «كرزويل» فقد رأى في قبّة الصخرة بهاءً ورونقاً وفخامة وسحراً وتناسقاً ودِقّةَ نِسَبٍ بهرت كل من حاول أن يدرسها من العلماء».

ويختم جوستاف لوبون إطراءه بهذا الصرح الفريد واصفاً إياه «بأنه

---

(١) روجيه غارودي: (ص: ٣٩).

أعظم بناء يستوقف النظر، وأن جمال روعته مما لايصل إليه خيال البشر»[1].

وسجل عارف العارف عبارة لأحد العلماء الغربيين، وهي: «إن مسجد الصخرة بلا شك من أجمل الأبنية فوق هذه البسيطة، لا بل أجمل الآثار التي خلفها التاريخ»[2].

فمن هذا العرض الموجز نرى بجلاء أن للمسلمين حقّاً مشهوداً، وأن لليهود باطلاً مردوداً، ولكن القوى الظالمة المجرمة في الأرض تدعم الباطل بكل قواها، والمسلمون متخاذلون عن حقّهم، مقصّرون بأداء واجبهم، والوفاء بأمانتهم.

والحق يحتاج إلى جنود أقوياء يحمونه ويدافعون عنه. فإن عجزنا نحن اليوم، فسننال عقاباً من الله بما كسبت أيدينا، ثم يستبدل الله بنا قوماً آخرين، لايكونون أمثالنا، ينهضون لأمانتهم على صدق جليّ ووفاء قوي، ينصرون الله فينصرهم الله.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) هذه الفقرات مأخوذة من دراسة عن المسجد الأقصى مخطوطة بعنوان «أضواء على أعمال الترميم في الحرم القدسي ـ جامعة دمشق ـ كلية الآداب ـ قسم التاريخ». أعدها علي رضا فوزي النحوي ـ (ص: ١٠) من المخطوطة ومراجعه لها: الآثار الإسلامية في فلسطين لمحمود العابدي، مجلة العربي العدد (١٦٠).

(٢) رفيق النتشة وزميلاه: تاريخ مدينة القدس ـ دار الكرمل ـ ط(١) ـ ١٩٨٤م. (ص: ١٩).

الباب الثاني

مع الشعر

الطريق إلى فلسطين
بين الماضي والحاضر



الفصل الأول

النبوة وفلسطين

فلسطين أرض النبوات..

دار الإسلام..

فلسطين حق الإسلام..

فلسطين أرض الإسلام ودار رباط

رسول الهدى..

فلسطين أَرض النبوّات[1]

عَانِقـي المجْـدَ وَاخْفقي يَابيدُ ... كُلُّ يَوْمٍ عَلى رِمَـالِـكِ عِيدُ

رَايَةٌ بَعْـدَ رَايَةٍ وَزُحـوفٌ ... في مَيَادِينِهَـا وَفَـجْـرٌ جَدِيدُ

لَا يَزَالُ التّاريخُ يَدْفَعُـهُ النَّصْـ ... ـرُ وبَنِيـهِ مُؤمِـنٌ وشَـهِـيدُ

وَالـنُّبُـوَّاتُ آيَةُ الله يُجْلَى الحَـ ... ـقُّ في نُورِهَـا ويُجْـلَى الـوُجُـودُ

تَصِـلُ الأَرْضَ والـزَّمَـانَ فَتمتَـ ... ـدُّ مَواثِـيقُ أُمَّـةٍ وَعُـهُـودُ

يَا لَحَقٍّ جُذُورُهُ ضَرَبَـتْ في الأَ ... رْضِ وامْـتَـدَّ سَاقُـهُ والـعُـودُ

إِنَّـهُ جَوْهَـرُ الحَـيَاةِ وَفَـيْضٌ ... عَبْـقَـرِيٌّ وَفَـاؤُهُ وَالجُـودُ

إِنَّـهُ الـوَحْيُ والـرِّسَالَـةُ لِلنَّا ... سِ وهَـذا رَسُـولُهَـا المَشْهـودُ

سَيِّدُ النَّاسِ! بَيْنَ نَصرٍ من اللَّـ ... ـهِ وَعِـزٍّ لِوَاؤُه مَعْـقُـودُ

---

(١) أُلقيت هذه القصيدة بعنوان «رسول الهُدى» حين كانت (١١٣) بيتا، في المؤتمر الذي عُقد لدراسة موضوع «المدائح النبوية» في مدينة أُورانج أباد في الهند، برعاية جامعة كاشف العلوم الإسلامية، وندوة العلماء، ورابطة الأدب الإسلامي، في الهنـد. وقد اشتركت في هذا المؤتمر ببحث عنوانه: «الإطار الصحيح والأُسلوب الأمثل للمدائح النبوية»، وكذلك بهذه القصيدة. وقد عقد المؤتمر خلال الفترة (٢٦ ـ ٢٨) صفر ١٤٠٩هـ الموافق (٧ـ٩) اكتوبر تشرين الأول ١٩٨٨م ثمّ أتممت القصيدة هذه حتى بلغت (٣٧٥) بيتا كما هي هنا.

إِنَّــهُ أَحْمَــدُ الــنَّبـيُّ! فَبُشْرَى بَيْنَ آياتِ رَبِّــهِ ووَعِــيدُ
فَمِــنَ الــلّهِ كُلُّ فَضْــلٍ عَلَيهِ آيَةُ الحَـقِّ والهُــدَى التّــوحِيدُ

● دار الإســـلام ●

حَيْثَــمَا مالَ بي الــفُــؤادُ فَدَارٌ هاجَ مِن حُبِّهــا فُؤادي العَميدُ[1]
بَيْنَ جَنَّــاتِهَــا غِراسُ الأَمَــاني وَعَــلى سَاحِهــا الفَتى المـوعـودُ
يَا دِيارَ الإِسْــلام! مَزَّقَــكِ الــشّــــرُّ وهٰــذَا الهَــوَانُ والــتشرِيدُ
نَصَــبُــوا فيك يَاديارُ حُدُوداً خَنَــقَــتْنَــا حَوَاجِــزٌ وَحُــدُودُ
قَدْ رَضِيْنَــا بِمَا أَقَــامـوا فضاقَتْ مِنْ رِضَــانَا على الشَّرِيدِ اللُّحُودُ
يَا دِيارَ الأَفْــغَــان! نَصرُكِ نَصرٌ جَلَّ فِيهِ الــفِــدَاءُ والــتَّمْـجِيدُ
سَادَ فِيــنـا مِنَ الهَــوَانِ ظَلاَمٌ بَدِّديه بِشُــعْــلَةٍ لَا تَبِــيدُ
شُعْــلَةٌ مِنْ مَلاَحِمِ الحَقِّ تاهَتْ عَنْ هُدَاهَــا مَذَاهِــبٌ وجُهُــودُ
يَا دِيارَ الأَفْغَــان عِنْــدَكِ يَحْنُــو مَا تَلَفَّــتُّ عِزُّنــا المَــفْــقُــودُ
الــدِّمــاءُ الــتي صَبَبْتِ حَيَاةٌ عَزَّ فِيهــا الفَتى وعَــزَّ الــوَليدُ
يَارُبى الصينِ! يَارُبَى الهِنْدِ ياشَا م! وَيَا نِــيلُ! يَامَــلاحِمُ! عُودُوا

---

(١) العميد، المعمود، المعمّد: شديد العشق.

● فَلَسْطين حَقُّ الإِسْلَام ●

يافِلَسْطِينُ! يَا حَنِينَ اللَّيَالِي ... جَنَّةٌ فَوَّحَتْ عليها الوُرُودُ
والنَّدى، والثِّمارُ، والعَبَق الحُلْـ ... ـوُ، وظِلٌّ عَلى الرُّبى ممدودُ
يَاظِلَالَ الزَّيْتُونِ! هَمْسُك تاريـ ... ـخٌ ونَجْوَاكِ شُعْلَةٌ وَوَقُودُ
والسَّوَاقي وَلُؤْلُؤٌ نَشَرَتْهُ ... مِنْ حَصَاها مَلَاحِمٌ وَجُنُودُ
والعَصَافِيرُ لَحْنُها أَيْقَظَ الفَجْـ ... ـرَ فغَنَّتْهُ أَعْصُرٌ وَنُجُودُ
موكِبٌ بَعْدَ موكِبٍ وفُتُوحٌ ... رَفْرَتْ في بطاحِهَا وَبُنُودُ
كُلُّ عِطْرٍ عَلَيْكِ دَفْقَةُ شَوْقٍ ... مِنْ دَمٍ صَبَّه الكَمِيُّ النَّجيدُ[1]
أَنْتَ حَقُّ الإِسْلَامِ، لؤلؤة الإِيـ ... ـمانِ يَزْهُو بكَ العُلا وَيرُودُ[2]

● فِلَسْطين أَرضُ الإِسْراء ودَارُ رِبَاطَ ●

يَاجَلالَ الإِسْراء: يحْمله الشـ ... ـوْقُ وَجِبْرِيلُ والبُرَاقُ الشَّديدُ
والفَضَاءُ المتَدُّ يَنْشُرُ أَنْوا ... راً فَتَنْشَقُّ ظُلْمَةٌ وسُدُودُ
أَيُّ نُورٍ يَطُوفُ بالكَوْن تُجلى ... مِنْ سَنَاه أَحْنَاؤُنَا والكُبُودُ

---

(١) الكَمِّي: لابس السلاح، الشجاع. النَّجيد: الشجاع الذي يمضي لما يعجز عنه غيره.

(٢) رَاد: يرُودُ، رَوْداً وَرياداً: ذهب وجاء في طلب الشيء، الطب.

إنّــه المُصْـطَفى! أطـلَّ فَهَبَّتْ　　لِلقَــاهُ　نُبُــوَّةٌ　وَجُــدُودُ
وإذا الــسِّيدُ الـعَـظِيمُ إمَــامٌ　　وجَــلاَلٌ يَحُوطــهُ وحُــشُــودُ
وإذا أنْــتِ يافِــلَسْــطِينُ نُورٌ　　يَتَــلاَلاَ وَجَــوْهَــرٌ وَعُــقُــودُ
فاخْشَعي ياربَى فهٰــذِي دُرُوبٌ　　لِجَنــانٍ　وَمَحشَرٌ　وخُــلُودُ
وَربَــاطٌ لِلَّهِ تَحْرُسُــهُ الـعَــيْـ　　ـنُ وقَــلْبٌ ووثْــبَــةٌ وَزُنُــودُ

* * *

يَاظِــلاَلَ الأَقْـصَى! نَدَاكِ غَنِيٌّ　　بالـرَّجَا، صَادِقُ الوَفاءِ، رَغيدُ
كُلُّ شِبْرٍ بِهِ مَوَاقِــعُ وَحْــيٍ　　وَجِهــادٌ عَلَى الــزَّمَــانِ جَديدُ
إنَّ دَاراً يَحُوطُــهــا الــلَّهُ تَأْبـى　　أنْ يُخَانَ الـوَفَـا وتُـطْوَى الوُعُودُ
إن أرضــاً لله لاَ يَتَــوَلّى　　عن حِمَاهَــا فتــىً أَبَــرُّ جَلودُ
مَنْ يَخُنْ عَهْــدَهُ مَعَ الله يُرْهِقْـ　　ـهُ عَذَابٌ مِنْ ربِّــهِ وَصَعُــودُ(١)

● رسـولُ الهُدَى ●

يَا رَسُولَ الهُدَى! سَلاَمٌ مِنَ اللَّـ　　ـه ومِــنْ مُؤمِــنٍ لَهُ تَرْدِيدُ
وصَــلاَةٌ عَلَيْك، تَخْشَــعُ فِيها　　أَضْلُعٌ أَسْلَمتْ وهٰـذِي الكُبُـودُ
كُلُّ فَتْــحٍ بَلغْــتَــهُ هو آيــا　　تٌ من الله خَيْرُهــا مَمدودُ
غيْرَ أنَّ القُلوبَ أقسى على الفَتْـ　　ـحِ وَأغْــلى سبيلُهــا والجهُـودُ
فَسَبيلُ القُلوبِ هَدْيٌ من اللـ　　ـه، سَبيلُ البـلادِ سَيْفٌ حَدِيدُ
فإذا مَا الـتَقى على الحقِّ سَيْفٌ　　وبَــلاَغٌ فَذَاك فَتــحٌ مَجِيدُ

---

(١) صَعُود: جَبَلٌ في جهنم، عقبة شاقة.

فَبَنَيْتَ الَّذي تُقَصِّرُ عَنْهُ عَبْقَرياتُ أَعْصُرٍ وَحُشودُ
أُمّةٌ لَمْ تَزَلْ إِلى الله تَسْعَى هي فَتْحٌ مِنْهُ وَنَصْرٌ فَريدُ

* * *

يَارَسُولَ الهُدَى! سَلامٌ مِن اللّـ ـه ومِنّا الوَفاءُ والتوحِيدُ
وَصَلاةٌ عَلَيكَ نَعْبُد فيها اللـ ـلّه نرجو رضاءَه ونُعيدُ
رَحْمةٌ أَنْتَ لِلعِبَادِ مِنَ اللـ ـلّه وفَضْلٌ مُهْدًى وَخَيْرٌ مَدِيدُ
فاذْكُري «أُمَّ مَعْبَدٍ» قِصَّة الشّـ ـاةِ وَقَدْ جَفَّ ضَرْعُها والوَريدُ[1]
مَسَحَ الضَّرْعَ في يَدَيْه رَسُولُ الـ ـله فا شَتَدَّ دَرُّهَا والجُودُ
رَوِي الصَّحْبُ وانْثَنَوْا وَكأَنَّ الضَّـ ـرعَ تَدْعو: لَئِن ظَمِئتُمْ فعودوا
آية الله في يَدَيْهِ وَذِكْرُ الـ ـلَّه في قَلْبِهِ خُشُوعٌ وَحِيدُ
إن رَوَى الصَّحْبَ كَفُّهُ فَهُدَاه يَرْتَوي منه صَاحِبٌ وَبَعيدُ
يَرْتَوي الدَّهْرُ من هُدَاه فَيَدْنو مؤمِنٌ خَاشِعٌ وَيَنْأَى كَنُودُ

* * *

أَيُّها المصطفى! تَفَرَّدْتَ في الخَلْـ ـقِ نَبيّاً عُلاكُ أُفْقٌ فَريدُ
أَنْتَ مَعْنَى الوَفَاءِ: ذِكْرُكَ في الأَرْ ضِ حميدٌ وفي السَّماءِ حَميدُ
زَانَكَ اللَّهُ! حُسْنُ وَجْهكَ إِشْرَا قٌ وَإِشْرَاقُهُ جَلالٌ وَدُودُ

---

(١) «أمّ معبد» صاحبة الخيمة التي مر بها رسول الله ﷺ وأبوبكر يسألان لحما وتمراً يشتريانه منها. فلم يصيبوا شيئا. فمسح رسول الله ﷺ ضرع شاة خلفها الجهد عن الغنم ودعا وسمى الله تعالى، فتفاجّتْ عليه ودَرّت وروي الجميع. فآمنت وبايعت على الإسلام.

لاتَكــادُ الشُّهُــودُ تَملأ عَيْنيــ ... هــا فَيُغْضِي مِنَ الجَلال الشُّهُودُ
ذِرْوَةُ البأس في فُؤادك في الحَرْ ... ب إذا احْمَــرَّ بَأسُهُــا وَرُعُــودُ
لَوْ تَنَادَوا مَن الفَوارسُ في الدَّهْـ ... ـر لَقَالُـوا: ذا الفَارسُ المَعْدُودُ
أَنْتَ في الحَرْب يَحْتَمي بكَ أَبْطا ... لُ وَيأْوي لِظِلِّكَ الـصِّـنْـديدُ
حَسْبُكَ المَدْحُ أَنْ تكون عَلَى خُلْ ... قٍ عَظيمٍ يُتْلَى بِهِ الكِتابُ المَجيدُ
كُلُّ آيٍ مِنَ الـكِتَـابِ وَذِكْـرٍ ... هُوَ ذِكْـرٌ على الـزَّمَـانِ جَدِيدُ

* * *

يَارسُولَ الهُدَى! حَمَلْتَ إلى النَّا ... س سَلاماً يَرْعاه دِينٌ وصِيدُ
كم مَسحْتَ الـدُّمُوعَ، آسيتَ مَحْزُو ... ناً فَحَنَّتْ إليك مِنْهُمْ كبُـودُ
وَدَفَعْتَ الأَسَى وَرَعْشَة خَوفٍ ... فاطْمأنَّت إلى الـوَفـاءِ العُهودُ
أَنْتَ أَرجَعْتَ لابْنَ آدمَ حَقّـاً ... كَمْ أَضـاعَتْـهُ فِتنَـةٌ وجُحُـودُ
وَعُتـاةٌ بَغَـوا عَلى النّاس حَتَّى ... تَاهَ في الـدرْب جَائـعٌ وطَريدُ
ياحُقُـوقَ الإنسـان! هذا هو الحَـ ... ـقُّ! سِـواهُ فبـاطِـلٌ مَرْدودُ
إنَّها مِنْـحَـةٌ مِن الله ! حَقٌّ ... لَمْ تُشرِّعْـهُ عُصْبَـةٌ وَعَبـيدُ
فاسْتَقيمـوا لِلَّهِ نَبْنِ سَلامــاً ... لَمْ تخالِـطْهُ فِتْـنَـةٌ ووعـودُ

* * *

يَارَسُـولَ الهُـدَى ! عَدَلْتَ وسَاوَيْـ ... ـتَ فَمَا جَارَ سَيِّدٌ ومَسُـودُ
جَمَعَ الـلَّهُ أُمَّـةَ الحَـقِّ إخْـوَا ... ناً فهـبَّـتْ عَزائِـمٌ وَجُـهُـودُ

غيْرَ أَنَّ الـزَّمَـانِ حَالَ فَعَادتْ ... للشّـياطِـين دَولَـةٌ وجُـنـودُ
أَشْعَلُوا الأَرْضَ فَجَّـروهَـا بَرَاكِيـ ... ـنَ فَمَادَتْ ذُراً ومَـادَ عَمُـودُ
صاحَ من هَوْل مَكْـرِهم كُلُّ جَبّـا ... رٍ وَجُـنَّ الـلَّهيبُ «والأُخـدودُ»
غيرَ أَنَّ اليقـينَ يَبقى ويمضي ... مَوكِـبُ الحَـقِّ يَجْتَـلي وَيَرودُ

* * *

كَيْفَ أَرْقَى إِلى مَديحِـكَ لكن ... غَلَبَ الشَّوق والحَنينُ الشّديدُ
غَلَبَ الشوقُ رَهْبَتي، وصِرَاعٌ ... في فُؤادِي يَغـيبُ ثُمَّ يَعُـودُ
كُلَّما لَجَّ في فُؤادِيَ شَوْقٌ ... دَفَـعَ الشَّـوْقُ رَهْبَتي فَتَـزيدُ
وإِذا بالخُشُـوع يَرْفَـعُ أَشْـوَا ... قي فَتَصْفُـو وتَـرْتَـقي فَتَجُودُ
إِنـما اللَّه وَالـرَّسُـولُ ، همَا الحُـ ... ـبُّ وَلِـله وَحْـدَه الـتَـوحِـيدُ
يالـدَّرْبٍ شَقَقَتَـهُ «في سَبيل الـ ... لَّه»، عَهْـدُ عَلَى الـزَّمَـانِ جديدُ
مَاجَ فِيهِ مِنَ الهِـدَاية نُورٌ ... وسرَايا تتـابَـعَـتْ وحُـشُـودُ

الفصل الثاني

درب النبوة إلى فلسطين

هجرة النبوّة إلى المدينة المنوّرة..

غزوة مؤتــه..

بعث أسامة..

معركة اليرموك..

معركة فحل..

معركة اجنادين..

عمر بن الخطاب يدخل القدس..

● هجرة النبوة إلى المدينة المنورة ●

هَلْ تَلَفَّتِّ يَارُبَى المسجد الأَقصـ ـى! وَهَلْ هَاجَكِ الهَوَى المَعْهُودُ
هٰذه مَكّـةٌ يُعَلِّلُهـا الـشَّـو قُ وحَبْلٌ مِنَ الهُدَى مَشْدُودُ
والـنُّبُـوّاتُ بَيْنَ مَكّـةَ والأَقْـ صَى عُهـودٌ وَفِـيَّةٌ وَجُـدُودُ
لَمْ يَكُـنْ غَيْرُ فِتْـنَـةٍ مِن قُرَيشٍ تُخْرِجُ المصـطفـى فَتَنْشَقُّ بِيدُ
فَمَـضَتْ هِجْـرَةٌ إلى الله حَتَّى أَشْرَقَـتْ «يَثْـربٌ» وأَشْرَقَ عِيدُ
والـنبيُّ الـرّسُـولُ يَطْلُعُ بَدْراً مِنْ ثَنِيَّاتِهـا فَيَحْـلُو النَّشِيدُ
والأَهَـازِيجُ والـقَـنَـا وخُيولٌ حَمْحَمتْ فانْطَوتْ لَيَالٍ سُوْدُ[1]
رُجَّتِ الأَرْضُ مِن مَواكِبِ أَنْصَا رٍ وأَوْفَى المُهَـاجِـرون الصِّيدُ
وإِذا أُمَّـةٌ تَدَافَـعُ لِلْحَـ قِّ فَتُلْقِـي أَفْـلاذَهـا وَتَجُـودُ

● غزوة مؤتـه ●

فَادْفَعي «طِيبَةُ» الرِّجالَ، ففي الأَرْ ضِ عُتَـاةٌ طَغَـوا بِهَا وعَـبِـيدُ
أَطْلِقِيهِمْ! يُحَرِّرُوا النّاسَ مِن قَبْـ ضَةِ وَهْـمٍ يَلُفُّـهُـمْ وَيَقُـودُ
يَحْطِمُوا الغُلَّ عَنْ رِقاب حَنَتْهَا في هَوَانٍ أَغْـلالُهـا والـقُـيُودُ

(١) الحمحمة: صوت الخيل إذا قصّد بها الصَّهيل واستعانت بنفسها.

رُبَّ يَوْمٍ «بِمُؤْتَةٍ» عَرَفَتْهُ الـ ... رُّومُ مُرّاً مَذَاقُهُ والعُودُ(1)
أَفْزَعَتْهُمْ كَتَائِبُ اللَّهِ والصِّدْ ... قُ وعَزْمٌ عَلَى الجِهَادِ أَكيدُ
يَالَزَيدٍ وَجَعْفَرٍ ثُمَّ عَبْدِ الـ ... لَّهِ! طَابَتْ شَهَادَةٌ وَقَصِيدُ
فانْثَنَى خَالِدٌ مَطَالِعَ جَيْشٍ ... يَتَوالَى قَتَامُهُ والجُنُودُ(2)
فَانْحِيَازٌ كَأَنَّهُ آيَةُ النَّصْـ ... ـرِ وَعَهْدٌ يَقُولُ: سَوْفَ نَعُودُ
خُطَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ صَحَّ فيها ... عَزْمَةٌ مِنْ هُدىً وَرَأْيٌ سَدِيدُ

● بعث أُسامة ●

يَالَبَعْثٍ مِنَ النُّبُوَّةِ هَادٍ ... مَاجَ فِيهِ غَطَارِفٌ وأُسُودُ(3)
هَزَّهُ الشَّوْقُ للشَّآمِ فَصَدَّتْـ ... ـهُ رِيَاحٌ وَفِتْنَةٌ وَجُحُودُ
صَحَّ لِلَّهِ عَزْمَةٌ مِنْ أَبِي بَكْـ ... ـرٍ وأَمْرٌ مِنَ الرسُولِ رَشِيدُ
أَنْفِذُوا! أَنْفِذُوا أُسَامَةَ والبَعْـ ... ـثَ! فَسَالَتْ عَلى البِطَاحِ الحُشُودُ(4)
ثُمَّ آبَتْ! ونَصْرُها طَلْعَةُ الفَجْـ ... ـرِ: مَيَادِينُ فُتِّحَتْ ونُجُودُ

---

(1) مؤتة: في جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة.

(2) اشارة إلى خطة خالد رضي الله عنه. وسماه الرسول ﷺ يومها سيفاً من سيوف الله.

(3) غطارف: ج غِطريف: السيّد الشريف السَّريُّ السخيّ، الشاب.

(4) بعث أسامة رضي الله عنه في صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة.

● معركة اليرمـــوك ●

يَارَسُـــولَ اللَّهِ الـدِّمَـاءُ الغَـوَالي — لم يَزَلْ دفْــقُــهَــا الـغَـنيُّ يَزِيدُ
إنَّ أَصْحَــابَـكَ الـذِين رَعَتهُمْ — سُنَّـــةٌ مِنْــكَ بالهُـدَى لَمْ يَحِيدُوا
أَين وادي «الـيَرْمُوك» تَحْنو عَلَيهِ — مُهَــجٌ من كتــائِـب وَبُنُــودُ[1]
وَسُــيُوفٌ كَأَنَّها فَلَقُ الــصُّبْـــ — ـــح جَلاءً، وعَــزْمَــةٌ وَشُهُــودُ
وصُفُــوفٌ مَرْصُــوصَــةٌ جَمَّعَتْهـا — عُرْوَةُ الحَـقِّ واليقــينُ الشَّــديدُ
يَاالجَــيش عِدَادُهُ الــنَّصْرُ أَوفى — كُلَّما أَرْخَصَ الحَــياةَ يَزِيدُ[2]
وَكَأَنَّ الــرَّسُـولَ صَلَّى عليه اللـ — ـــه فيهــمْ يُؤُمُّــهُــمْ وَيَقُــودُ
وَعَــدُوٌّ مِنَ الهَــوَانِ قَليلٌ — ما أَفَــادَتْــه عُدَّةٌ وَعــديدُ
جَمَعَ الــرّومُ جَمْعَهمُ في الثَّنَــايَا — وَتَــرامَتْ عَلَى البِـطَاحِ الحُشُــودُ
يَا مِئَــات الأُلُــوف كَيْفَ تَجَمَّــعْـ — ـــتِ؟! طَرِيدٌ يَأْوِي إليهِ طَرِيدُ!
لَمْ يُؤلّـفْ بَيْنَ الـقُـلُوب حِبَــالٌ — مِنْ هُدىً! بَلْ سَلاسِلٌ وحديدُ[3]
أَنْـفُسٌ دُمِّــرَتْ وشُلَّتْ قُواهــا — ثُمَّ سِيقَــتْ كَمَا تُســاقُ الـعَبيدُ
خَالــدُ بنُ الــوَلِيدِ أَسْمِــعْ قُلُوبـا — بالهُدَى، لو وَعَتْ رَعَتْهَا الجُدُودُ[4]

---

(١) معركة اليرموك سنة (١٣)هـ.

(٢) (٣) كان جيش الروم بحدود (٢٤٠) ألف مقاتل، منهم ثمانون الفاً مقيدون بالسلاسل والحديد حتى لا يفرّوا.

(٤) الجُدود: الحظوظ ج: جَدّ.

إِنَّ بابَ الجِنـان وَثْبَـةُ حَقٍّ — وجهَـادٌ يَفُـورُ منـهُ الـوَريدُ
رَاعَـهُـم مِنْ أَبي عُبَـيدَةَ عَزْمٌ — وَشُرَحْـبيـلُ رَاعَـهُـمْ ويَزِيدُ
ونِـداءُ المِـقْـدادِ آيُ جِهـادٍ — اللَّيَالي تُصْـغي لهُ وتُـعِيدُ[1]
وَدَوِيُّ القُـرْآنِ في حَومَـةِ المـو — تِ وَذِكْـرٌ مِنَ الـدُّعَـاءِ فَرِيدُ
والـزُّبَـيْرُ العـوّامُ يَخْتَرِقُ الصَّـ — ـفّ فَتُلقَى عَنْ جانبيهِ الجُنُـودُ
عَلِّم الـرُّومَ يَامُـعَـاذُ دُرُوسـاً — مِنْ جِهـادٍ وطَـعْـنَـةً لا تَحِيدُ
يَنْهَـدُ الجَيْشُ لِلقتَـالِ ! جنَاحـ — ـاه التفــافٌ وَوَثْبَـةٌ وصُمُـودُ[2]
يَنْهَـدُ الجَيْشُ! قَلْبُـه وثبةُ الصِّـ — دقْ وبُشْرَى يَجْلُو رُؤاهَـا سَعيدُ
وضِرارٌ والحـارثُ بنُ هشـامٍ — ووجوهٌ مِنَ الأَشاوسِ نُودوا[3]
بَايعُـوا بَيْعَةَ عَلَى المَوتِ وامْضُوا — واصْـدُقُوا اللّهَ والرَّسولَ وجُودُوا
أَطْلِقي الشُّـوقَ يَاقُلُوبُ وخَـلِّي — للرِّمـاحِ الـبَـيَانَ فَهْـي تُجِيدُ
واصْـمتي ياشفـاه هذي ميادِيـ — ـنُ جِهَـادٍ بَيَانُهَا مَشْـهُـودُ
كَمْ جَريحٍ مَضَى عَلى الحَقِّ ظَمْـآ — نَ فَرَوَّتْـه في الجنـانِ الـرُّودُ[4]
عَبْقَـرِيُّ الإِيْثَـارِ رَوّى نُفُـوساً — سَلْسَـبِيلٌ يَرْوِيهـمُ وَخُـلُودُ[5]

---

(١) كان المقداد بن الأسود يدور على الجيش يقرأ عليهم سورة الأنفال وآيات الجهاد.

(٢) يَنْهَدُ: ينهضُ ويصمدُ.

(٣) دعا ضرار بن الأزور عددا من الصحابة ودعاهم لأن يبايعوا بيعة الموت.

(٤) الرُّود: الفتاة الناعمة إشارة إلى نعيم الجنّة والحور فيها.

(٥) إشارة إلى قصة الجرحى الذين آثر كل واحد منهم أخاه بالماء فماتوا دون أن يشربوا.

آيَةُ النَّصْرِ أَنْ رَأَى الحَقَّ «جُرْجَهْ» هَزَّهُ الصِّدْقُ والوَفَاءُ الحَميدُ(١)

إيهِ يَاخَالِدُ أَعنِي بِنُصْحٍ صادِقٍ لا تَضِلُّ فِيه الجُهُودُ

أَيُّ شَيءٍ أَردتُمُ؟! كَيف يرجو النَّـصرَ مَنْ جَيشُهُ قَليلٌ زَهِيدُ؟!

إيهِ «جُرْجَهْ» سَبيلُنا الحَقُّ أَسْلِمْ يَهَبُ اللَّهُ نَصْرَهُ مَنْ يُريدُ

مَا أَرَدْنَا إلاَّ شَهَادَةَ حَقٍّ نُبْلِغُ النّاسَ أَمْرَها لِيَعودُوا

أَسْلِمِ اليَوْمَ تَغْنَمِ الأَجْرَ ضِعْفَيْـنِ وَيَلقَاكَ في الجِنَانِ مَزيدُ

فانثنى! رَكْعَتَينِ صَلّى إلى اللـهِ فناداهُ عَهْدُهُ المحمودُ

ثُمَّ لبَّى النِّداءَ! أوفى! فنادَتْـهُ جنانٌ وغَيّبَتْهُ نُجودُ

وإذا السَّاحُ قَدْ تَطايَرَ عَنْها كُلُّ عِلجٍ: مُصَرَّعٌ وشَريدُ(٢)

وإذا النَّصْرُ آيَةُ اللهِ يَجْلُو ها شَهيدٌ ويَجْتَليهَا شَهيدُ

هكذا عَلَّمَ الرسُولُ وأعلى أُمَّةً بَذْلُها دَمٌ مَرْفُودُ

● معركة فحل ●

يَارَسُول اللَّهِ السَّلامُ المُنَدَّى طاعةٌ والصلاة عَهْدٌ عَهيدُ

جَمَع الله فِيهمَا أَدَبَ الدِّيـنِ وَنُعْمَى نُوفي بهَا ونُعيدُ

لم يَزَلْ بَعْدَكَ الصَّحَابَةُ في الأَرْضِ دُعَاةً تَعلو قَنَاتُهم وَتَسُودُ

---

(١) جُرْجَهْ: أحد الأُمراء الكبار في جيش الروم، خرج من صفه وقابل خالد بن الوليد رضي الله عنه فسأله ثم أسلم، ثم قاتل ضد الروم حتى قتل.

(٢) علج جمعها علوج وهم كفار العجم.

حَدِّثينا يا «فِحْلُ» كَيفَ أَصَابَ الـ ... ـرُّومَ يومٌ مِنَ الأَسى مَنْكُــودُ[1]
كيفَ مَالُوا عَنْهَا «لبيسَانَ» كَيْدًا ... ما أَذَلَّ الجَبَــان حِينَ يَكيْدُ[2]
غَمَــروا الأَرْضَ بالمِياهِ وَظَنُّــوا ... أَنَّها مَهْـلِكُ الـرِّجَــالِ الأَكِيدُ
ثُمَّ هَبُّــوا للمُـسْلِمــينَ وَظَنُّــوا ... أَنَّهم غَافِـلُونَ عنهُــمْ رُقُــودُ
جَعَــلَ اللَّهُ في نُحُــورِهِمُ المَكْـــــرَ فغــاصتْ خُيولُهُمْ والجُنُــودُ[3]
وأَحــاطـتْ بِهِمْ وُحُــولٌ وَمَــاءٌ ... وَدُرُوبٌ مَخْنُــوقَــةٌ وَسُــدُودُ
رَكِبَ المُسْلِمُــون أَكْتَــافَهُمْ ثُـ ... ـمَّ رَمَتْهُمْ رِمَــاحُهُمْ والـزُّنُــودُ
كُلُّ باغٍ عادٍ مَعَ الـدَّهْـرِ يَلْقا ... هُ جَزَاءٌ مِنْ فِعْــلِهِ مَرْدُودُ
هذه أُمَّــةٌ بَنَــاهَــا رَسُــول اللـ ... ـه تَحْمــي حِيَاضَــهَــا وَتَــذُودُ

● معركة أَجنادِين ●

يارَسُــولَ الهُـدَى سَلامٌ من اللـ ... ـه وفَـضْــلٌ عَلَيْك مِنْــهُ مَديدُ
أَنْــتَ عَلَّمتنــا الحَقيقَــةَ! بَلَّغْـ ... ـتَ! فَنَــاجٍ مُصَــدِّقٌ وكَنُــودُ
أَنتَ عَلَّمتَنَــا لِنَنْجُــوَ مِنْ مَكْـ ... ـرٍ يُدَارِي شَيْطانُــهُ ويَكِــيدُ
يَالِــيَومٍ مِنَ المَـكَــائِــدِ مَرَّتْ ... سَاقَـهَــا في الـوَغَى عَدُوٌّ لَدُودُ

---

(١) (٢) (٣) فحـل في فلسطين قرب الغور. والمعركة في السنة الثالثة عشرة من الهجرة. وبيسان بلدة في فلسطين قريبة منها فحْل. عمل الروم مكيدة للمسلمين أوقعهم الله بها. حين غمروا الأرض بين بيسان وفحل بالماء ليقع فيه المسلمون، ولكن الله أوقعهم فيه وهم هاربون في هزيمتهم.

عِنْدَ «أَجْنادين» ٱلتَقَتْ عُصْبَةَ الرو م زُحُـوفُ مِنَ الـتُّقَـاةِ وَصِيْدُ(1)
فالـتَقَى فَارسَـان: فَارِسُ غَدْرٍ كاذبٌ واسِـعُ الـضَّـلالِ مَرِيدُ
وَأَمِـيرٌ لِلمُـسْـلِمـينَ لَدَيـهِ مِنْ هُدَى الله فِطْنَـةٌ وَرُدُودُ
يالَعَمرو بن العَاصِ صَحَّتْ رُؤَاه عَلَّم «الأَرْطَبُـونَ» كَيْفَ الـوُرُودُ
صَحَّ ظَنُّ «الفَارُوق» في «أَرْطَبُون» الـ ـرُّوم أَعْـيَاهُ أَرْطَـبُـونٌ نَجِيدُ
ثمَّ دَارَ الـقِتَـالُ، نَادَت فِلَسْط ينُ! فَلبُّـوا نِداءَهَـا وَأَعِـيدُوا
الـدّروبُ الحَمْرَاءُ لِلقُـدْسِ مُدَّتْ والسَّرَايا تَشَـوُّقٌ وحُـشُـودُ

● عمر بن الخطاب يدخل القدس ●

يَارَسُـولَ الهُـدَى بَنَيْتَ رِجَـالاً مَا أَعَـزَّ الـرِّجَـالَ حينَ تَجُودُ
صَدَقَـتْ رَبَّهَـا وأَوفَـتْ بِعَهْـدٍ فاستقامَتْ عَلى السَّبيلِ الجُهُودُ
عُمَرُ بنَ الخَطّاب! أَقْبِلْ فهذي الـ ـقُدْسُ حَنَّتْ إليك مِنها الكُبُودُ
وفِـلَسْـطِينُ كُلُّ شِبرٍ عَلَيْه مِنْ دَمِ المُـؤمـنـينَ دَفْـقٌ جَدِيدُ
فَدَعَـتْـكَ القُلُوبَ دَعْـوَةَ حَقٍّ عَلَّمتْهـا لَهُمْ صَحَـائِفُ سُودُ(2)

---

(1) (2) اجنادين: في فلسطين موقع قريب من الفالوجة اليوم. وكان أمير الروم فيها الأرطبون وهو أدهى الروم، وكان أمير جيش المسلمين هناك عمرو بن العاص. وقد دخل على الأرطبون بنفسه ليكشف أمره. وأراد الأرطبون الفتك به حين ظنّ أنه عمرو بن العاص عند خروجه. فأنجاه الله من مكيدة الأرطبون حين فتح الله عليه بأن قال له بأن هنالك عشرة مع أمير الجيش هو واحد منهم فلابد من حضورهم. فطمع الأرطبون بهم فأفلت =

عَلّمَتْهُمْ أنّ الّـذي يَفْتَحُ القُـدْ ... س أمـيرٌ للمـؤمـنـيـنَ رَشِيدُ
يَالَـفَـتْـح لَهُ مِنَ الحـقِّ نُورٌ ... صَدَقَـتْ فيه آيَةٌ وَوُعُـودُ
عُمَـرُ بنُ الخَـطّاب لُؤلُؤةُ الفتْـ ... ـح وَعِقْـدٌ مِنَ الـوَفَـاءِ نَضِيدُ
يَالَـفَـتْـح أَبُـو عُبَـيدةَ فيه ... جَوْهَـرُ الصِّـدْق والأَمين الفَريدُ
وَرِجَـالٌ من الصُّحَـابَـة أبْـرَا ... رٌ وَدُرٌّ في عِقْـدِهِ مَنْـضُـودُ
يَاحَنـينَ الأَقْصَى إلى عُمَـرَ الفَا ... رُوق! يالَهْفَـة اللقـا! هل يَعـودُ
رَفَّـتِ الـصَّـخْـرَةُ الشَّرِيفَـةُ لَمّا ... أقْـبَـلَـتْ طَلْعَـةٌ وَأَشْرَقَ عِيدُ
فَجَـلاهَـا! ولمْ يَزَلْ مِنْ هَوَاهـا ... عَبَـقٌ يَمْـلأُ الـزَّمَـان وَعُـودُ
يَالَـفَـتْـح تَخَيَّرَ الـدَّهْـرُ منْـهُ ... مَا تَمَنَّـتْ مِنَ الجَـوَاهِـر غِيدُ
فَفُتُـوح الرَّسُول تاجٌ على الدَّهْرِ ... وهـذي لآلـىء وعُـقُـودُ

= عمرو بن العاص رضي الله عنه. وفتح المسلمون أجنادين سنة (١٥ هـ). وفي نفس السنـة تم فتح بيت المقدس وكان النصارى يعتقدون أن فاتح القدس اسمه ثلاثي كما في كتبهم.



صورة تاريخية لمدينة القدس من داخل السور تتوسطها قبة الصخرة المشرفة

الفصل الثالث

الغارة الصليبية على فلسطين

الصليبيون وجريمتهم في القدس..

معركة حطين..

صلاح الدين على أبواب القدس..

صلاح الدين وكتائب الإيمان يدخلون القدس..

• الصليبيّون وجريمتهم في القدس •

يارسُـولَ الإِسْلاَم! آيَتُكَ الوَحْـ ـيُ وَنُـورٌ على الـزَّمـان بَديدُ
الفُتُـوحَـات نُورُهَـا يَمْـلأُ الكَـ ـوْنَ فَتَنْـزَاحُ ظُلْمَـةٌ وَجُحُـودُ
الـفُـتُـوحَـاتُ آيَةٌ وَبَـيَانٌ وَبَـلاَغٌ للعَـالِمِـينَ شَدِيدُ
آيَةٌ تَقْـرَعُ الـقُـلوبَ فَتُـحْـيي مَيِّتـاً مِن نُفُـوسِـهَـا وَتُـعِـيدُ
ما لِقـومِيْ خَبَتْ مَشَاعِلُهُمْ، أَظْـ ـلَمَ دَرْبٌ، وغَـيَّتْـهُـمْ بيدُ
خَالَ عَنْ عهْدِكَ الرِّجالُ، رَسُولَ اللـ ـهِ، والـسَّيْفُ والفَتى العِـرْبيدُ
أَشْغَلَتْهُمْ عَنِ الجِهَـادِ الـدَّنـايا ورَمَـتْـهُـمْ عن السُّرُوجِ مُهُـودُ
وَثَبَ الكَـافِـرُونَ وَثبـاً عَلَيْنـا وَغَـزانـا مِنْ كُلِّ أُفْـقٍ صَعِـيدُ
والصَّليبُ المَزعُـومُ يُخْفِي هَوَى المُجْـ ـرِمِ يُغْـليهِ جَاهِـلٌ وحَـقُـودُ
يانِـدَاء الأَقْصَى وقَـدْ حَلَّ فِيهِ مِن أَذَى الكُفْـرِ عُصْبَـةٌ وجُنُـودُ
أَعْملوا السَّيْفَ في الـرِّقاب فَسالَتْ أَنْهُرٌ مِنْ دَمٍ وسَـالـتْ نُجـودُ
يَاهَـوْلِ الإِجْـرَام جُنَّتْ لَيالٍ فَزَعـاً مِنْـه واقـشَعَـرَّتْ جُلُودُ
أَقْبلِي يا عُصُورُ! هَاتي صَلاَحَ الـ ـدِّين! فَالـدَّارُ شَوْقُهَـا مَشْهُـودُ
لَمْ تَزَلْ جذْوَةُ الـبُـطُولَـةِ في الأُ مَّـةِ يَرْعـى غطَاءَهَـا التَّـوْحيدُ

● معركة حطيـــن ●

يَا «لِحِــطِّينَ» زَلْـزَلَتْ مِلّةَ الكُفْـ ـر فَأَهْـوَى رُكْنٌ لَهُمْ وعَمُـودُ[1]

فالتَقَتْ عِنْـدَها الجَحَافِلُ صَفَّيـ ـــن: فَنَاجٍ باللَّهِ أَوْ مَنْجُــودُ[2]

جَمَعَ المُــؤمِــنــينَ مِنْ كُلِّ دارٍ عُرْوَةُ الحـقِّ والـيَقِــينُ الـــوَطيدُ

وَقُــلوبٌ أَحــبَّــتِ المَــوْتَ لِلَّـ ـه فجَـالَتْ سُرُوجُهَـا واللبُودُ[3]

عَبْقَرِيُّ الجِهَادِ أَنْتَ! صَلاحَ الـ ـدِّين! سَيْفٌ مِنَ الهُـدَى مَمْدُودُ

زَهَــدَتْ نَفْسُـكَ التقيَّةُ بالـدُّنْـ ـيـا، مَتــاعٌ مِنَ الغُــرور زَهِيدُ

أَنْـتَ أَخْمَــدتَ بالتُّقَى جَاهِلِيًّا تٍ فأَغْـنـتْ مَلَاحِمٌ وَسُجُــودُ

وَجَمَعْتَ القُلُوبَ في جَوْلَةِ الصِّدْ قِ لَها مِنْ هَوَى الجِهَــادِ وَقُــودُ

وَقْـدَةُ الحَـرْبِ تَطْرُدُ الخَبَثَ القا تِلَ يَنْــفِــيهِ حَرُّهَــا المَــورُودُ

---

(١) موقعـة حطين سنـة (٥٨٣هـ). انتصر فيهـا صلاح الـدين الأيوبي على الفرنجة الصليبيين، ومهدت الطريق لفتح بيت المقدس الذي تم في السنة ذاتها في ٢٧ رجب يوم الجمعة.

(٢) المنجود: الهالك.

(٣) اللبود: ج لِبْد ولِبْدة ولِبْدَة: كل شعر أو صوف متلبِّد، وهنا الصوف الذي يوضع تحت السرج.

● صلاح الدين على أبواب القدس ●

يَارَسُــولَ الهُـدَى! سَلامٌ مِنَ اللـ ــه وحُـبٌّ يَشُـدُّنَـا وَعُـهُـودُ
أَنْتَ عَبْـدُاللهِ اصْـطَفَـاكَ وَأَعْـطا كَ مِـنَ الـوَحْـيِ آيَةً لا تَبِـيدُ
أَنـتَ أَتْمَمْتَ مِنْ مَكَـارِمِ أَخْـلا قٍ وَعـلَّمْـتَـنَـا بِهَا مَا نَشَـيدُ
أَنـتَ عَلَّمْـتَ أُمَّـةً كَيْفَ تَرْعَـى حَقَّـهـا بالـتُّـقَـى وَكَـيفَ تَسُـودُ
يَا «لحِطِّينَ» شَقَّتِ الأَارْضَ! مَدَّ الـ ـدَّرْبَ يَوْمٌ مِنَ الـوَفَـا مَشْـهُـودُ
هذِهِ الـقُـدْسُ زيَّنَـتْـهَـا الـلَّيالي والـفُتُـوحَـاتُ والهَـوَى المَنْشُـودُ
يَاصَـلاَحَ الـدِّين العُهُـودُ رُؤَاهَـا حَالـياتٌ وَبُشْرَيَاتٌ وَعِـيدُ
جَرِّدِ الـسَّيْفَ شُعْلَةً فِي الـدَّيَاجي رُبَّ سَيْفٍ يُضِيء مِنْـهُ الـوُجُـودُ
أَهْـدِهَـا حِلْيَةَ الـفُتُـوحِ فَيَزْهـو لُؤلـؤٌ عِنْـدَهَـا وتَـزْهُـو بُرُودُ
واجْعَـلِ النَّصْرَ طَاعَـةَ اللهِ بالحـ ـقِّ وَظِـلاًّ يَأْوِي إِلَـيْهِ الشَرِيدُ
عَلِّمِ النَّاسَ كَيْفَ تَهْوِي رؤوسُ الـ ـكُفرِ عَدْلاً وكَيْفَ يَعفُـو الشَّـدِيدُ

● صلاح الدين وكتائب الإيمان يدخلون القدس ●

يا «لِبَالبَانَ» عِنْدَ بَابِكَ يَسْتَجْـ ـدي أَمَانـاً وأَنْتَ عَنْـهِ تَحِيدُ[1]

وَجُيُوشُ الفِـرَنـج يَسحَقُهَـا الذُ لُّ وَيَطْويْ لِوَاءَهَـا الـتَّشْرِيدُ

نَسِيَ المـجْـرِمُـون أيَّ دِمَـاءٍ قَدْ أَصَـابـوا وأَيَّ قَوْمٍ أُبيَدوا

فَأَتَـوا في جُفُـونِهِمْ دَمْعَـةُ الـذُّ لّ، وَفي دَمْـعِهِمْ رَجَـاءٌ وَحِيدُ

جُدْ عَلَيْنَا، عَلَى الطُّفُولة، بالعَفْـ ـو، حَنَانَيْكَ أَنْتَ، أَنْتَ الرشيدُ

حكمَةٌ أَشْرَقَتْ بقَلْب صَلاح الـ ـدين، رَأيٌ مِنَ الـرَّشَادِ سَدِيدُ

المُـرُوءَاتُ في يَدَيْك: فَعَـفْـوٌ مِنْ قَويٍّ وفِـدْيَةٌ وحُـدُودُ

فَارْمِ بالـسَّيفِ رَأْسَ كُلِّ شقيٍّ غَادِرٍ ظَلَّ في الـدِّيار يَكـيدُ

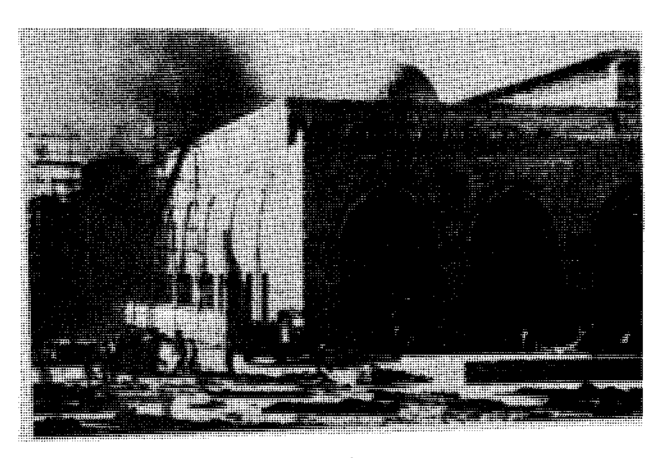
وَهَبِ العفْـوَ لِلضِّعَافِ، ففي السَّا حَاتِ ناجٍ مُرَوَّعٌ وَفَـقـيدُ

واقبَـلِ الفِـدْيَةَ التي دَفَعُـوهـا واحْـذَرِ الغَـدْرَ مِنْهُمُ أَنْ يَعُودُوا

---

(١) بالبان: هو بالبان بن بازران كان رئيس الصليبيين في القدس وقائدهم وكان صلاح الدين قد عزم على فتح القدس حربا. ولكنّ بالبان طلب الأمان من صلاح الدين فأمّن، فلما حَضرَ تَرقّق للسلطان صلاح الـدين وذلّ ذلاً عظيما وتشفّع إليه بكل ماأمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم. فقالوا إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا، وذرارينا وأولادنا ونساءنا وخربنا الدور وأحرقنا المتاع ومابأيدينا من الأموال وهدمنا قبّـة الصخرة إلى غير ذلك. فأجابهم السلطان على أن يبذل كل رجل منهم عشرة دنانير عن نفسه، وخمسة دنانير عن المرأة، وديناران عن الصغير، ومن عجز عن ذلك فهو أسير. إلى آخر الشروط.

كُلَّ يومٍ يُحَطِّمُوا أَلْـفَ قَيْدٍ مِنْ جميلٍ صَنَـعْـتَـهُ أو يَزيدُ
واجْعَـلِ الهُـدْنَـةَ الرَّحيْمَةَ عَزْماً مِنْ قَويٍّ يَأْوِي إِلَـيْهِ الـطَّريدُ
ياليومٍ أَغَـرَّ في الـدَّهْـر باقٍ لم يَزَلْ مِنْـه عِزَّةٌ وصُـعُـودُ
وَرَوَابي الأَقْـصَـى نِداءٌ وَذِكْـرٌ والـوَرَى فيهِ رُكَّـعٌ وسُـجُـودُ
الـفُـتُـوحَـاتُ أَقْـبَلَتْ تَتـوالى كيْ تَرَى مَجْدَهـا لَدَيْكَ يَعُـودُ
شَرَفُ الهُـدْنَـةِ الأَبـيَّة نَصرٌ عَبْقَـريٌّ عَلى الـزَّمَـان جَديدُ
وفِلَسْـطينُ كُلُّها زَهْـوَةُ النَّصْـ ـرِ ودَارُ الإِسْـلَام عُرْسٌ وَعـيدُ
والأَعَـادي شَرَاذِمٌ وأَسَـارى وَجَـبَـانٌ مُمَزَّقٌ وَشَريدُ
يَهَبُ الـصُّلْحَ سَيِّدٌ حِينَ يَعْفُـو وَهُـوَ في زَهْـوَةِ الإِباءِ يَجُودُ
وَذَلـيلٍ تَراهُ يَلْهَثُ خَلْفَ الصُّـ ـلْح أَعْـيَتْـهُ حِيْلَةٌ وَجُـهُـودُ



منظر إحراق المسجد الأقصى يوم ٢١/ ٨/ ١٩٦٩

الفصل الرابع

بين عزٍّ غابر وهوانٍ حاضر

عزّنا أمس...

أين عبدالحميد...

لا تقل لي سياسة وسلام...

وقف الطفل وحده...

وقف الطفل على بابك ياقدس...

● عِزُّنا أمـــسِ ●

يارَسُـولَ الهُـدَى! لَقَدْ بدَّلَ النا ... سُ وحَـالَتْ عن الـوَفاء العُهُودُ
عِزُّنــا أَمْس! هَلْ طَوَتْـه الليالي ... وَطَــواهُ مَعَ الأَمَــاني الهُـجُــودُ
يَارسُـولَ الهُدَى! إلى الله نَشْكُو ... مَا تُلاقـي مِنَ الهَــوَانِ الكُبــودُ
المَـيَادِينُ أَمْس كَانَــت تُدوِّي ... كُلَّ يَوْمٍ يُطِلُّ نَصْرٌ جَدِيدُ
يَاصَـهيلَ الخُـيُول! أَيْنَ تَولَّيْـ ... ـتِ؟! وأَينَ العَجَاجُ؟! أَينَ البُنُـودُ؟!
خَلَتِ السَّـاحُ مِنْ فَوارِسِهَا الغُـ ... ـرِّ وغــابَـتْ عَن المَيادِين صيدُ
خَيَّمٍ الصَّمْتُ في مَوَاقِعِها الحُمْـ ... ـرِ وأَعْفَتْ عَلى رُبَـاهـا الحُشـودُ
وصـــدى تائِــةٌ يَغيبُ عَلَيْهــا ... وَدَبيبُ الأَشْبَــاح فِيهــا بَعيدُ
وبَــقَــايَا أنِــينِهــا يَتَــلاشــى ... ثُمَّ يَطويهِ بَعْــدُ صَمْـتٌ شَديدُ
لَهْفَ نَفْسي! كَأَنَّها قِصَّـــةٌ تُرْ ... وَى وَذِكْـرَى تُعِيدُهــا وقَصِيدُ
هَمَسَـــاتٌ وسـاِئـحٌ يَتَـلهَّـى ... برسُــومٍ وزائِـرٌ ووفــــودُ

● ● ●

كَيْفَ ضاعَتْ أَمَـانَـةٌ؟! يالقَـوْم ... هَدَمُــوهَــا وقـد بَنَتْهـا الجُـدودُ
كَيْفَ تُطْوَى هذي القُرونُ ويُطْوَى ... شَرَفٌ مِن جِهــادِهــا مَحْمــودُ
وعـهــودٌ لله وثَّـقَـهـــا التَّـــا ... ريخُ والــوحْيُ والــدَّمُ المرْفـودُ
وحَنْـينٌ مِنْ لَهْفةِ الشَّوْقِ يَسْري ... في دَمٍ نازِفٍ، ووَثْــبٌ وجُـودُ

كُلُّ هذا يُطْوَى؟! فَيَا لِبِـلادٍ ضَيَّعَـتْهـا سِيَاسَـةٌ وجُحـود
أَجُـدُودٌ تُبْـنِي شَوَامِـخَ مَجْدٍ ثُمَّ يَهْوِي بِهَا ويمضي حَفِـيدُ

● ● ●

كَيْفَ يَرْقَـى إلى الـدِّيارِ عَدُوٌّ يَسْـتَبيحُ الحِمَى ويَعْلو اليَهُـودُ
يا لِذُلِّ النَّفوسِ هانَتْ فأَهْوَتْ في وُحُـولٍ وَمَـا وَعَتْ مَا تُرِيدُ
مَنْ يُسَـاوِمْ عَلَى الـدِّيار تَنَـلْهُ مِنْ لَيَالِـيه ذِلَّـةٌ وصُـدُودُ
مَنْ يَهُنْ عِرْضُـه عَلَيه تولَّـتْـ ـهُ دَواهٍ وراوَدَتْـهُ الـقُـرودُ
مَنْ يُقَـسِّـم دِيارَهُ قَسَّـمتْـهُ مِنْ شِفـار العِـدى ظُبـا وحَدِيدُ

● ● ●

● أَين عبدالحميـد ؟! ●

أَيْنَ عَبْـدُ الحَـميدِ هَانَ لَديهِ زُخْـرُفٌ زائِـلٌ وقَصْرٌ مَشِـيدُ
لَمْ تَهُنْ حُرْمَـةُ الـدِّيارِ عَلَيهِ لَمْ يَرُعْـهُ أَذى ومَـكْـرٌ شَدِيدُ
صَدَقَ اللهَ والـرسُولَ فَلاَنَ السِّـ ـجْنُ والهَجْـرُ والأَسى المـدُودُ
رُبَّ يَوم يَنَـالُ فيه من الـلـ ـه نَعِـيما أَوفى عَلَيْهِ الخُـلُودُ
حَمَلَتْـهُ لَهُ الجِـنَـانُ فَحُـورٌ مُقْـبِـلاتٌ ولُـؤلُـؤٌ مَنْضُـودُ

● ● ●

مَنْ تُرَى يُوقِظُ الضَّـمائِـر فِينـا قَبْـلَ أَنْ تُرْتَـقَـى ذُراً ونُـجُـودُ
كَمْ تُرَى زَيَّنَ الهَـزائِـمَ وَهْـمٌ وَرَمَـى بالشُّرورِ صَاحٍ عَتِـيدُ

وَالهَوَى يَصْنَعُ العَجائِبَ في النَّا س فشـيطَانُـهُ عَتِيٌّ مَرِيدُ
رُبَّ وَهْمٍ أَضَرُّ بالنّاس مِنْ الهَـ ـمِّ وصَحْـوٍ أَبَـرُّ مِنْهُ الرُّقـودُ
وَرجـالٍ عَليهـمْ رِيبَـةٌ تَبْـ ـدُو: رِدَاءٌ مِنَ الهَـوَى وبُـرُودُ
وَغَـريبٍ يكـادُ يُخْفيـهِ عنّـا في هواهُ قِنـاعُـهُ والجُـلودُ
قَدْ رأَيْنَـاً «كُوهين» يوماً ونخشَى أَنْ يُعِيدَ الأَسى «كُهِينٌ» جَدِيدُ

● ● ●

● لا تَقُلْ لي: سياسة وسلام ●

لاَ تَقُـلْ لي: سِيَاسَـةٌ وَسَـلاَمٌ ودِمَـائي تَمُوجُ فِيهـا النُّجـودُ
وَبَقـايا الأَشْلاَءِ تَصرُخُ أَيْن الحـ ـقُّ؟! أَيْنَ الوَفاءُ؟! أَين العُهُودُ
والأَعَـاصِـيرُ تِلْكَ تَقْتَلِعُ الخَيْـ ـمَـةَ تَذْرُو أَطْفَـالَهَـا وتُبِيدُ
وَالصّبـايا! وأَدْمُـعٌ! ويَتَـامَى وثَـكَـالَى وطِـفْلُهَـا المَـوْؤدُ
والـدِّمَـاءُ التِي صَبَبْنَا! وَمَا جَـفَّـ ـتْ دِمَـاءٌ ولا انْـطوَى تَشْرِيدُ
لَمْ تَزَلْ أَنَّـهُ الـلُّجُـوءِ تُدَوِّي وَخِـيامُ الـلُّجُـوءِ حُمْرٌ وسُـودُ
ورَضِيعٌ يكـادُ يُنْصِفُـهُ الهَـوْ لُ يُنادِي: أَينَ الكميُّ النَّجيدُ
انْهضِي أُمَّتي! أَفيقي! ففي الدَّرْ بِ دَواءٍ يَشِيبُ مِنْهـا الـوَليدُ

● ● ●

لا تَقُــلْ لي سِيَاسَــةٌ وسَــلامٌ فَحَــدِيثُ السَّــلام شيَءٌ بَعيدُ
سَلْ «أَمِرْكا» عَن السَّلاَم «بفيتنا م» وَسَــلْ رُوْسِيَا وسَلْ مَنْ تُريدُ
وَسَــلِ النّــاسَ! مَنْ أَرادَ سلاماً قَبْلَ أن يَفرِضَ السَّلامَ الحَديدُ؟!
هَلْ أَرَادَ الـرّوسُ السَّــلامَ بأَفْغا نَ وَهَلْ يَبْتَغي السَّلاَمَ اليَهودُ؟!
كُلُّهــمُ يَنْــظرُون للأُفُـق الــوا سِع ! أَطْــماعُــهُمْ هُنــاكَ تَزيدُ
حَسِبُونـا مِثْلَ النِّعَـاج فَقَـالـوا اذْبَحُــوهُمْ حَتّى يجفَّ الـوريدُ
يَفْرِضُ السِّلْمَ صَاحِبُ الحقِّ بالسيْـ ـفِ وَيَمْضي بِهِ الأبيُّ الــشَّـديدُ

● ● ●

لا تَقُــلْ لي مَرَاحِــلٌ وَدَهَــاءٌ كُلَّ يَومٍ تضِيقُ حَوْلي الحُــدودُ
كُلَّ بضــعٍ منَ السِّنــين تَرَانــا ألــفَ مِيلٍ إلى الــوَرَاء نَعُــودُ
وَعَــدُوِّي أَرَاهُ يقــفِــزُ وثْــباً لمزيدٍ ومَــا كَفــاهُ المــزيدُ
لا تَقُــلْ لي: رَأيٌ وخُـطّةُ نَهْجٍ ذَاكَ نَهْجٌ تضِــيعُ فِيه الجُـهــودُ
كُلَّ يَومٍ نَرْمي ونُعْــلي شِعــاراً وعَــدُوِّي لَهُ شِعــارٌ وَحِــيدُ
وَلَــدينَــا مِنَ الـعَــواطِـف نارٌ أَكَــلَتْنــا ومِــنْ هَوَانــا وَقُــودُ
وخُـطانـا عَلى الـطَّريقِ شَتَـاتٌ كَلُّ حِزْبٍ بما لَدَيهِ سَعِــيدُ

● ● ●

● وَقَفَ الطِّفْلُ وحْدَهُ ●

وَقَفَ الطِّفْلُ وحْدَهُ، والليالي ... وَرَصَاصٌ مِنْ حَوْلِهِ وَجُنُودُ
وَقَفَ الطِّفْلُ والحِجَارَةُ أَكْوا ... مٌ وعَيْنَاهُ عَزْمَةٌ وصُمُودُ
لا يَرَى عَنْ يَمينِهِ مِنْ مُعينٍ ... لا يَرَى عن شِمالِهِ مَنْ يَذُودُ
كُلُّ سَاحٍ سَعَى إِليها خَلاءٌ ... كُلُّ دَرْبٍ يَشُقُّهُ مَسْدُودُ
والنِّداءُ المجروحُ غَابَ مَعَ الأُفْـ ... ـقِ وغَابَتْ مَزَاعِمٌ وَوُعُودُ
والشِّعَاراتُ كُلُّها سَقَطَتْ في الأَر ... ض وغَابَتْ خَنَاجِرٌ ووُعُودُ
كُلُّهم يَدَّعي لَكَ النَّسَبَ الأَوْ ... فَى وَأَنْتَ الحُرُّ الأَبِيُّ الشَّديد
أَنْتَ يا طِفْلُ وَحْدَكَ اليومَ في السَّا ... ح! فَأَيْنَ الأَنْسَابُ؟! أَيْنَ العُهُودُ؟!
ودَوِيٌّ يَكَاد يَصْرُخُ: أَيْنَ الزَّحْـ ... ـفَ أَينَ الرِّجالُ؟ أَيْنَ الحَديدُ؟!

● ● ●

والرَّوابي تَلَفَّتَتْ لِتَراهُ ... شُعْلَةً في الدُّجَى وقَلْباً يَجُودُ
نَفَحَتْهُ كُلُّ الزُّهُور شَذَاها ... وَحَبَتْهُ أَزْكى العُطُورِ الوُرُودُ
فإِذَا بالدِّماء نَفْحَةُ مِسْكٍ ... فَوَّحَتْ عِنْدَها رُبىً ونُجُودُ
فتمَنَّتْ كلُّ الزُّهُور شَذَاهَا ... وتمَنَّتْهُ كَاعِبٌ وخَرُودُ
أَرْوَعُ العِطْرِ مَا تَجُودُ بِهِ الرُّو ... ح وتُعْطِيهِ مُهْجَةٌ وَوَريدُ
وإذا بالرُّبى دَوِيٌّ يُنادي ... والليالي صَدىً هُنَاكَ بَعيدُ

أَنَـا عِطْري مِنَ الـدِّماء الغَوَالي ... كُلُّ شبْرٍ ثَوَى عليْهِ شَهِـيدُ

● ● ●

وَسَرَتْ قَطْرَةٌ مِنَ الـدَّم تَرْوي ... حيث تَسْري مَلاَحِمـاً وتُـعـيدُ
كُلُّ ما في الرُّبى أَصَاخ وأَصغى ... عَجَبـاً والـوَرَى أَصَـمٌّ عَنـيدُ
أَنَـا مِنْ أُمَّـةٍ بَنَـاهَـا رَسـول الـ ... ـله والـوحْيُ والكتـابُ المجيدُ
أَنَـا لله قَدْ سَكَبْـتُ دِمـائِـي ... ولِـربِّي تَضرُّعِـي والـسُّجُـودُ
عَبَقُ الـطُّهْـر في دَمِي وحَيَاتي ... نَفْحَـةُ الخَيْر والعَطَاءُ الفَـريدُ
أَنَـا عِطْري مِنَ الجنـان ونَفْحِي ... صَبَّـهُ الشَّـوْقُ مِنْـهُ والتَّـوحيدُ
أنا مَعنى الإنسان، جَوْهَرُه الخُـ ... ـرُّ، وعَـزْمٌ عَلى الـوَفـاء أَكِيدُ

● ● ●

أَنَـا لي «مَنْـزلٌ» رَمَتْـهُ اللّيالي ... ورَمَـتْ قَلبَـهُ لَيَالٍ سُودُ
والتِقـاءُ الأَطْـمَاع بالـزَّهر الخُلْـ ... ـو، ودُنيا هَوىً، وقَلْبٌ حَقُـودُ
وَثَـبُـوا كُلُّهُـمْ عَلَيَّ وُثُـوبـاً ... وأَنَـا مُفْـرَدٌ ومَـا اشتَـدَّ عُودُ
ونَـزَلْتُ المَيْدَانَ سَبْعـينَ عامـاً ... وَدَمِـي شُعـلَةٌ وعَـزْمـي حَدِيدُ
كُلَّ يَومٍ أُعْـطي الميادِينَ وَقْـداً ... صَابـراً أَسْكُبُ الـدِّمـا وأَزيدُ
أَنَـا ما زِلْتُ في المَيَادين حَرْبـاً ... هُوَ عَهْـد مُوَثَّـقٌ مَشْـدُودُ
هِيَ دَاري ولَهْـفَـتي وَحَـنـيني ... كَيْفَ تُنْسَى مَعَ الـوَفـاءِ العُهُودُ
هيَ حَقُّ الإِسْـلام، لؤلؤة الإِيـ ... ـمان، يَزهُـو بها الـعُـلا وَيَرُودُ
سَـوف أَمْضِي وَلَنْ أُمزِّق أَرْضي ... غَايَةُ الـدَّرْبِ في رُبَـاهَـا الخُلودُ

• وَقَفَ الطِّفْلُ عند بابكِ يا قُدسُ •

وَقَفَ الـطِّفـلُ عِندَ بابك يا قُدْ ... سُ! ونـادَتْـهُ مِنْ هُنـاكَ الجُدُودُ
وتَـلاَقَتْ أَصْـداؤُها! وطُيوفٌ ... بَيْنَ عيْنَيْه حَوَّمَتْ وبُنُودُ
وعَجَـاجٌ تَشُقُّـهُ طَلْعَةُ النَّصْـ ... ـرِ وإشْراقُ فَجّره والـعِيْدُ
ورِبَـاطٌ لله يَنْشُرُهُ الـوَحْـ ... ـيُ، وتَمْضِي طُيوفُـهُ والشُّهُـودُ
ورؤىً مِنْ هَوَى المَلاحِمِ يَزْهُو ... بَيْنَهـا المؤمِـنُ الكَمِيُّ النَّجيدُ
وَرَوابي حطِّين يَطْلُعُ مِنْهـا ... فارسٌ مُقْبِـلٌ وتَـطلَعُ صيدُ
زَحَـفُـوا كُلُّهمْ إليْكِ فَهَـاجَتْ ... لهْفَـةٌ مِنْـكِ وانْثَنى لَكِ جِيدُ
وتَـزَيَّنْـتِ مِنْ حلاك! فُتُـوحٌ ... كُلُّ نَصرٍ جَوَاهِـرٌ وَبُـرُودُ
كُلُّهـا أَقْـبَلَتْ تَقُـولُ: رُوَيْداً ... لا تُقَـطَّع جَواهِـري والعُقُـودُ

• • •

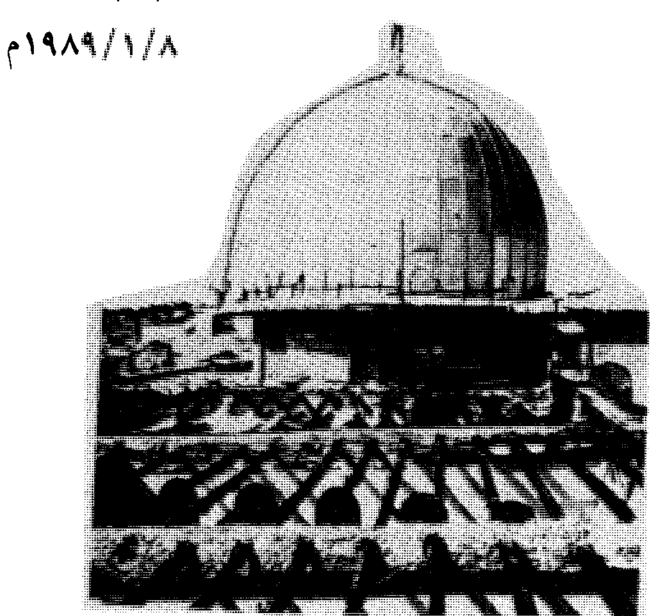
وقَفَ الـطِّفـلُ عِندَ بابكِ يَا قُدْ ... سُ! وأَمجَـادُهُ شَذاً وَوُرُودُ
ثُم غَابَـتْ طيُوفُـهـا! وَيَدَاهُ ... شُدَّتـا خَلْفَهـا وَهَـاجَتْ كُبُـودُ
وَدُمُـوعٌ تَكـادُ تَحْرِقُ جَفْـنَيْـ ... ـهِ وَخَـفْـقٌ مِنَ الـفُؤادِ شَديدُ
أَفْلَتَتْ مِنْهُ في رُؤَى الغَيْب لكنْ ... عادَ مِنْهَـا لهُ صَدَاهَـا الـبَعيدُ
لا تُمَزِّقْ هذي الـرَّوابي، ولا تَهْـ ... ـجُـرْ حُقُولاً، ولا تَرُعْكَ اليَهُودُ
أنْتَ أَقْـوَى مِنَ العَـدُوِّ وأَعْـلى ... إنَّ أَقْـوى السِّلاحِ صَبْرٌ وَجُودُ

• • •

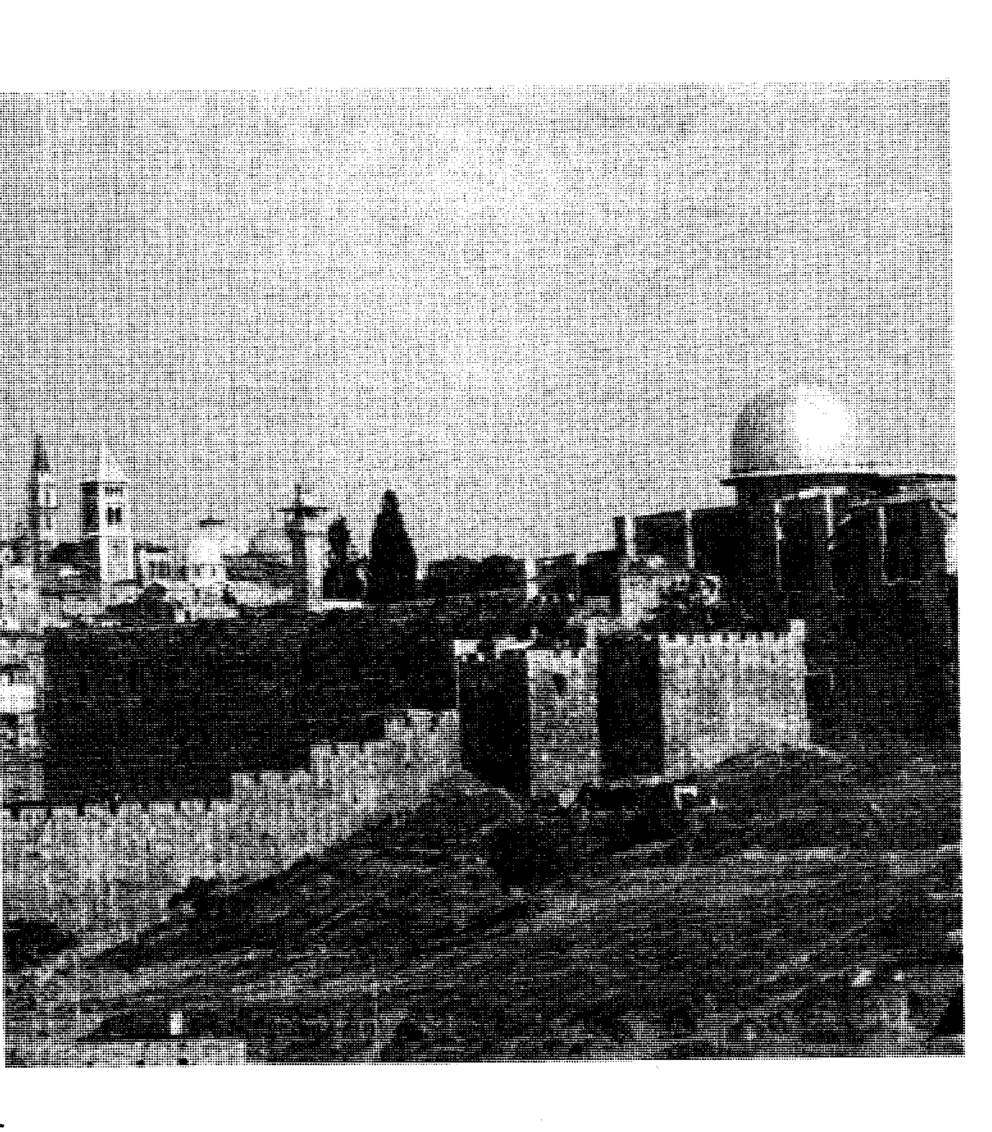
وَقَفَ الـطِّفْـلُ عِندَ بابكِ يَا قُدْ ـسُ وغَـابَتْ كَتـائِبُ وَحُشُـودُ
نَزَلَـتْ مِنْـهُ دَمْـعَـةٌ ثَمَّ سَالتْ والتَقَى دمْعَـهُ الـدَّمُ المـرفـودُ
كَادَ يلوي أَسيً فَنَـادَتْـهُ مِنْهَـا أَربُـعٌ فَوَّحَتْ ونـادَتْ نُجُـودُ
أَنْتَ يا «طِفْلُ» أُمَّةٌ إن صَدَقْتَ الـ ـلـه ، أَنْتَ الأَبَـرُّ أَنْتَ الجَلودُ
امْضِ واصبرْ! غَداً سَيأتيكَ أَنْصا ر ويَعْـلو التكبـيرُ والتـوحِيدُ
وغَـداً تُشْرِقُ المواكِبُ بالصِّـد ق فَيَنْشَـقُّ مِنْـه فَجْـرٌ جَديدُ
يَطْلع الفَجْـر مِنْ دَمٍ سَكَبَتْـهُ في الـرَّوابي مَلَاحِـمٌ وَجُنُـودُ
أُمَّـة تَصْـدُقُ العَـزِيمـةَ للـ ـه فَتُلقِي أَفْـلاذَهَـا وتَجُـودُ

١/٦/١٤٠٩هـ

٨/١/١٩٨٩م



منظر لسطح المسجد الأقصى بعد إحراقه من قبل الإسرائيليين يوم ٢١/ ٨/ ١٩٦٩



جانب من السور المحيط بمدينة القدس قبل حفريات يهود تحت المسجد الأقصى التي تظهر قبته في الصورة.

الباب الثالث

أشواق النصر وحنين العودة

الفصل الأول

الانتفاضة والحجر

يا للإباءة أين أهل الحار

أنا في رباط ليس يعذر مدبر

أبني هل يبقى سلاحك في الوغى حجرا

● يا للإِباءة! أين أهل الدار؟! ●

لَفَتاتُ شَوْقِكَ أَمْ حَنينُ الدَّارِ ... وَرَفِيفُ عِطْرِكَ أَمْ شَذَى الأَزْهارِ
مَرَّت عَليَّ نَسائمٌ رَفَّ النَّدى ... فيهَا فَقُلْتُ: نسائمٌ مِنْ داري
حَمَلَتْ إليَّ مَعَ البُكُورِ أَريجهَا ... ذِكرى من التَّاريخِ والآثَارِ
الذِّكْرَيَاتُ رَجَعْنَ كالفَجْرِ الذي ... شَقَّ الظَّلامَ وَفَضَّ مِنْ أَسْتارِ
وجَمَعْنَ مِنْ سَاحَاتِهَا أَوْرادَها ... وَفَتَقْنَ مِنْ طَلْعٍ ومِنْ نُوَّارِ[1]
وَلَمَمْنَ أَحْلى الزَّهْرِ ثُمَّ نَثَرْنَهُ ... وشْياً عَلَى قِمَمٍ وفي أَغْوارِ
وجَمَعْنَ مِنْهَا الطيبَ ثُمَّ نشَرْنَهُ ... مِسْكاً ورَيْحَاناً وَنَفْحَ عَرَارِ
وحَمَلْنَ أَغلَى جَوْهَرٍ فنَظَمْنَهُ ... عِقْداً يَمُوجُ بهَا وأَلَّقَ سِوارِ
أَنَّى تَلَفَّت خَاطِري يَلقى الهَوى ... شَرَفاً مِنَ الذِّكَرَى وزَهْوَةَ غارِ

● ● ●

الغَافِياتُ مِنَ العُصُورِ كأَنَّهَا ... بُعِثَتْ عَلى فَزَعٍ وحُرْقَةِ ثَارِ
بُعِثَتْ لِتَسْأَلَ مَا لِدَاريَ أَقْفَرَتْ؟! ... يا للإِبَاءَة! أَيْنَ أَهْلُ الدَّارِ؟!
دَاري التي بُسِطَتْ لِتَرْفَعَ أُمَّةً ... عَزَّتْ فَأَيْنَ جَحَافِلُ المِلْيَارِ؟!
أَيْنَ الزُّحُوفُ تَوَاصَلَتْ في دَرْبِهَا ... وتَواثَبَتْ لِملاحِمٍ ونِفَارِ؟!

---

(١) نُوَّار: نَوْر الشجر. واحدته نُوَّارة، والنَّوْر هو زهر الشجر أو الأبيض منه، وأما الأصْفَر فزهر.

بُعِثَتْ لِتَسْأَلَ أَيْنَ مَنْ أَرضَعْتُهمْ صَفْوَ الإِبَاءِ وَعَزْمَةَ الإِيْثَارِ؟!
من آيَةٍ تُتْلَى وسُنَّةِ أَحْمَد ومَواقِعٍ تُرْوَى ويُمْن شِفَارِ؟!
نَهَضَتْ وَحَوَّمَت الطُّيُوفُ وأَقْبلتْ لله دَرُّ جَلالِهَا وَوَقَارِ!
يا للطُّيُوفِ تُعِيدُ في أَسْمَاعِنَا شَرَفَ الفُتُوحِ وَوَثْبَةَ الأَبْرَارِ

● ● ●

عَادَتْ لِتَسْأَلَ والحَنِينُ يَشُدُّهَا وتَحُومُ بَيْنَ رُبىً وبَيْنَ دِيَارِ
تَحْنُو! وفي العينَيْنِ حَيْرَةُ دَمْعَةٍ كَادَتْ تَدَفَّقُ مِنْ جَوىً وأُوَارِ
حَبَسَ الإِبَاءُ سَبيلَها فَتَجَمَّعَتْ غُصَصاً تَمُوجُ بِصَدْرِهَا المَوَّار
وتَلَفَّتَتْ! لكنَّ دَمْعَةَ شَوْقِهَا سَقَطَتْ تَبُلُّ حَنِينَهَا وتُداري
أَيْنَ الملايينُ الذينَ تَنَاثَرُوا فَوْقَ البَسِيطَةِ كالغُثَاءِ الجَارِي؟!

● أنا في رباط ليس يُعْذَرُ مدبرٌ ●

وَرَجَعْتُ أَبْحَثُ كالطُّيُوفِ وَبي هَوَى وسَأَلْتُ عَنْ صَحْبِي هُنَاكَ وَجَارِي
أَوَ كُلُّ جَارٍ مثْخَنٌ بجِرَاحِهِ أَمْ كُلُّ جَارٍ غَارِقٌ بِدُوَارِ
ومَضَيْتُ أَبْحَثُ والدُّروبُ كأَنَّهَا عَبَقُ الحَنِينِ ونَسْمَةُ الأَذْكَارِ
فَمَرَرْتُ بالفَلَّاحِ في بُسْتَانِهِ والفَأْسُ في كَفَّيْهِ لَفْحُ شرَارِ
لله درُّك! كَمْ يَرُوعكَ من أَسىً أَفْعَى تُطِلُّ وثَعْلَبٌ مُتَوَارِي
والموتُ حَولَكَ زَاحِفٌ مُتَرَصِّدٌ والأَرْضُ إِعْصَارٌ على إِعْصَارِ
ومَكَائِدٌ نَشَبَتْ عَلَيْكَ وأَطْبَقَتْ بنيُوبِهَا الحَمْراءِ والأَظْفَارِ

دُوَلٌ تَجَمَّعُ في عِصَابَةِ فِتْنَةٍ   جُنَّتْ وَعُصْبَةِ ظالِمٍ مَكَّارِ
الإنجليزُ ورُوسِيَا وفَرنَسَةٌ   والأَمْرِكانُ وتابعٌ ومُمَارِي
وحَبائِلُ الشَّيطانِ يَجْمَعُها لَهُمْ   صِهْيَونُ في عَلَنٍ وفي إسْرَارِ
فَأَجابَنِي، وعَلَى سَوَاعِدِهِ نَدىً   وعُصَارَةٌ مِنْ ليلِهِ ونهارِ
مَا زِلْتُ أَسْكُبُ في الحُقُولِ وفي الرُّبى   رَيًّا وأَرْعَى مَوْثِقِي وذِمَاري
كَمْ قَطْرَةٍ نَزَلَتْ تَشُقُّ مِنَ الثَّرَى   غَرْساً فتَحْمِلُ مِنْ جَنىً وثِمارِ
وطلائعُ الفَجْرِ المنوِّر والضُّحى   ونسائمٌ تَسْرِي وشَدْوُ هَزارِ
أُفُقٌ يُعيدُ عليَّ مِنْ آيَاتِهِ   ورُبىً تُعيدُ عليَّ مِنْ أَخْبَارِ
فَهُنَا عَرَفْتُ اللهَ جَلَّ جلالُهُ   فَخَشَعْتُ في لَيْلٍ وفي إبْكارِ
وهُنَا وجَدتُ الحَقَّ يَجْمَعُهُ لَنَا   عَبَقُ الجُدُودِ وجَوْلَةُ الأَبْرَارِ
وأَبُو عُبَيْدَةَ زاحِفٌ في أُمَّةٍ   يا عِزَّ رَايَتِهِ وعِزَّ مَسَارِ
وَصَلُوا لَنَا التَّاريخَ وحْيَ رِسَالَةٍ   ونُبُوَّةٍ وصَحَابَةٍ وحَوَارِي
ضَرَبَتْ جُذورُهُم بأَعْماقِ الثَّرى   تُرْوَى وتَنْهَلُ مِنْ دمٍ فَوَّارِ
وَعَلَتْ فُروعُهُمُ تَشُقُّ فَضَاءَهَا   وتُطِلُّ مِثْلَ مَطالِعِ الأَقْمارِ
مَلأوا الزَّمَانَ كأَنَّما صَبُّوا بهِ   بالحَقِّ شَلَّالاً مِنَ الأَنْوارِ
دَانتْ بِصِدْقِهِم البِطَاحُ وأَسْلَمَتْ   بجِهادِهِمْ للواحِدِ القَهَّارِ
لا! لنْ أُغادِرَ سَاحَتِي حتى يُرَى   دَمِيَ الغَنِيُّ يَصُبُّ كالأَنهارِ
حتَّى تُقَطَّعَ أَضْلُعِي وأَنالَ مِنْ   حُسْنَى الشَّهَادَةِ أَو إباءَةَ غارِ
وأَرَى مَلايينَ الأُبَاةِ تَزاحَمُوا   يتسابَقُون إلى جِنَانِ البَاري

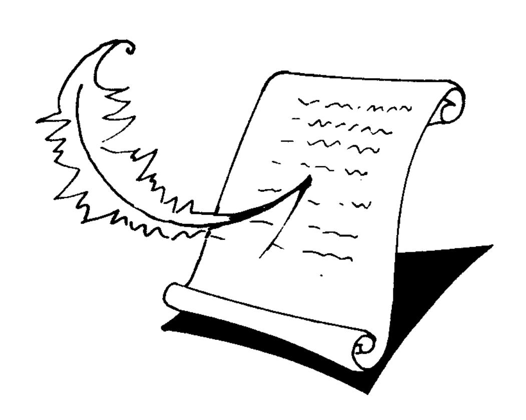
مِنْ كُلِّ فَجٍّ! يا لَوثْبَـةِ أُمَّـةٍ ... تَصْحُـو وغَضْبَةِ زَحْفِهـا الهَدَّارِ
أَنَـا في رِبَـاطٍ ليس يُعْـذَرُ مُدْبِرٌ ... عَنْ سَاحِـهِ أَو عَائِـذٌ بفِـرارِ

● أَبُنيَّ هل يبقى سِلاحُكَ في الوغى حَجَراً؟! ●

ورَجَـعْـتُ أَرْقُبُ كُلَّ أُفْقٍ عَلَّني ... أَلْقى طَلَائِـعَ أُمَّتِي وجِـوَارِي
سَبْعُونَ عاماً لَمْ أَزَلْ وحْدِي عَلَى ... دَرْبِي أَخوضُ لَظَىً وهَوْلَ حِصَارِ
ومَضَيْتُ أَبْحَثُ في الدُّرُوبِ ولهْفَتي ... أَمَـلُ أَلَـحَّ وشَـدَّ مِنْ إِصْرَارِي
فَرَأَيْتُ كُوخـاً لَمْ تَزَلْ جُدْرانُـه ... تَرْوي لَنَـا هَوْلاً مِنَ الأَسْرارِ
في كُلِّ رُكْـنٍ قِصَّـةٌ مَخْنُـوقَـةٌ ... وصَـدىً يَمُـوجُ على دَمٍ زَخَّـارِ
خَنَقُـوا النِّـدَاءَ بِهِ ولكنْ لَمْ يَزَلْ ... همسٌ يَدُورُ وَرَاءَ كُلِّ جِدَارِ
وبسـاحِـهِ ثَكْـلَى وَطِفـلٌ لَمْ يَزَلْ ... يَحْبُـو وفي عَيْنَـيْهِ عَزْمَـةُ ثَارِ
وَأَطَـلَّ وجْـهٌ مُشْرِقٌ: أُمَّـاه عُدْ ... تُ إِلـيكِ بالـبُشْرَى وَيُمْنِ نَهَارِ
أَطْلَقْتُ مِنْ كَفِّيَّ دَفْقَةَ غَضْبَةٍ ... ورَمَـيْتُ بالمِقْـلَاعِ مِنْ أَحْجَـارِ
فَصرَعْتُ فَوقَ ثلاثَـةٍ وتَـركْتُهُمْ ... جُثَثـاً تَسَـاقَطُ في جَحِيمِ النَّـارِ
ضَمَّتـهُ وانْفَلَتَ الحَنِـينُ كأَنَّـهُ ... يَرْوي الـزَّمـانَ بدَمْعِهـا المِدْرارِ
قَتَلُوا أَبَـاكَ وَذَبَّحُـوا أَطفـالَنَـا ... ونِساءَنَا مِثْلَ الوُحُوشِ ضَوَارِي
مِنْ كُلِّ ذِئـبٍ مَدَّ مِنْ أَنْـيَابِـه ... أَوْ ثَعْـلَبٍ يَحْتَـالُ بالأَظْـفَـارِ
فانْهَضْ لأَمْـرِ اللهِ! إِنَّ جِهَادَهُمْ ... حَقٌّ وشَـوْقُ الصِّيدِ والأَبْـرارِ

● ● ●

أَبُنَيَّ! هلْ يبقى سِلاحُكَ في الوَغى حَجَراً يَطيرُ وَغَضْبَةً في الدَّار
يأبى لَكَ الإِيمانُ أَنْ تَبْقَى على وَهَنٍ وخَصْمُكَ مُقْبِلٌ بالنَّار
ويشُقُّ أَجْوَاءَ الفَضَاءِ سِلاَحُهُ حُمَماً تَفُورُ بصَوْتِهِ الهَدَّار
سَنَتَانِ قَدْ مَضَتَا بُنيَّ! ولم يَزَلْ قَصَصُ السَّلامِ يُعيدُ من أَدْوار
فَأَفِقْ مِنَ الأَحْلامِ وارْمِ غِشَاءَها وانْظُرْ لِتُبْصِرَ في جَلاَءِ نَهار
وانْهَضْ لَمَلْحَمَةِ الجِهادِ تَمدُّها مُهَجٌ تَطَايَرُ عَنْ قناً وشِفَار
وأَعِدَّ ما اسْطَعْتَ السِّلاحَ جَميعَهُ وانْهَضْ لأَمْرِ الواحِدِ الجَبَّار
لَمَّا طَلَعْتَ وفي يمينِكَ مُصْحَفٌ يُتْلَى وخَفْقَةُ صَارمٍ بَتَّار
تَدْعُو فيأخُذُ بالهُدَى مُسْتَيْقِنٌ وتَجُذُّ كُلَّ مُنَافِقٍ خَتَّار
أَمْضَى السِّلاحِ رِسَالَةٌ تَدْعو لها ومُهَنَّدٌ لُمعَانِدٍ ومُمَاري
تُجْلى السُّيُوفُ مَعَ البَيَانِ وَيُجْتَلَى صِدْقُ البَيَانِ مَعَ الدَّمِ الفَوَّارِ



الفصل الثاني

في سبيل الله

أماه لا أرضى الهوان.

دربي سبيل الله.

يبنون من أشلائهم شرف الهوى.

● أُمَّاه! لا أَرضى الهَوان! ●

أُمَّـاهُ! أَيْنَ أَسـيرُ؟! دَرْبِي مُغْلَقٌ سُدَّتْ مَسَـالِكُـهُ عَلى أَبْصَـاري
وَكـأَنَّني بَيْنَ الـوُحُولُ أَغُوصُ في شَرَكٍ وأَدْفَـعُ زَحْمَـةَ الأَخْـطَارِ
وكَـأَنَّني أَجْـري وأَلْهَثُ، دُونَني دَرْبٌ يَصُـبُّ عَلَى شَفِـيرٍ هَارِ
وَقُبَـالَتي يَجْري السَّرَابُ وَلَهْفَتي تَجْري وَتَـلْهَثُ خَلفَنـا آثَـاري
أَنَّى جَرَيْتُ رأَيْتُ حَوْلي أَدْمُعـاً ثَكْـلى تَصُبُّ دُمُـوعَهَا وجَوَاري
ورأَيْتُ أَشْـلاءً تُمَزِّقُـهَـا الـرِّيَا حُ! تَنـاثَـرَتْ مِزَقاً بكـلِّ مَسَارِ
وجَمَـاجمـاً مِثْـلَ الجِبَالِ تَهُزُّني فَزَعـاً مِنَ التَصْـدِيق والإِنْكَـارِ
وصراخُ طِفْـلٍ لَمْ تَزَلْ أَصْـداؤهُ بَيْنَ الـدِّمَـاءِ تَقُـول: يَا لِلعـارِ!
أُمَّاهُ! مَنْ جَلَبَ الهَوانَ ومنْ رَمى بيَ في الـطَّريقِ وشَدَّ حَبْلَ إِسَارِ
أُمَّاهُ! لا أَرضَى الهَوَانَ ولا أَرَى دَرْبـاً أَعـزَّ مِنَ التِحَـامِ شِفـارِ

● ● ●

أُبُـنَيَّ! تِلْكَ هِيَ المَيَادينُ الـتي تَأْبـى الهَـوَانَ وذِلَّـةَ الإِدْبـارِ
أَعْـلى مَيَادينِ الجِهَـادِ نُفـوسُنَـا ومَكَـامِنُ الشَّهَـوَاتِ والأَسْرَارِ
فإِذَا انْتَصرْتَ بهَا فَدُونَكَ سَاحَةٌ أُخْـرَى تَخُوضُ بهَا عَجَـاجَ غِمَارِ
فإذَا صَدَقْـتَ اللهَ نِلْتَ بِفَـضْلهِ حُسنَى الشَّهَـادَةَ أَو رَفيفَ الغَارِ
فانْزِلْ مَيادِينَ الهُدَى ودَعِ الهَوى ودَعِ الهَـوَانَ لِتَـائـهٍ خَوَّار

واحْسِمْ «مَصيرَكَ» في جَلاَء مَوَاقعٍ لا بَيْنَ حَيْرَةِ زُخْـرُفٍ وشِـعَـارِ

● ● ●

فَعـجبْتُ مِنْ أُمٍّ وَمِنْ ولَـدٍ لَها نَهضَـا على شَرَفٍ وصِدْق حِوَارِ
فسأَلْتُه: مَنْ أَنْتَ؟! قال: أَنَا ابن مَنْ مَلأَ الـزَّمَـان بزَحْفِـهِ الجَـرَّارِ
فأبى الذي صبَّ الدِّماءَ هُنا رِضاً لله يَطْلُبُ مِنْـهُ عُقْبَى الـدَّارِ
مَا جَالَ جَوْلَـتَـهُ على وثَـنِـيَّةٍ أَبَـداً ولاَ مَارى دُعَـاةَ صَغَـارِ
حُرٌّ عَلى التـوحيدِ يَعْمُـرُ قَلبَـهُ لله شوقُ الـفَـارس المِغْـوارِ
آبَـائِي الغُـرُّ الـذينَ عَرفْتهُمْ طَلعُـوا على الـدُّنيا طُلوعَ نَهَارِ
أَبْـنَـاءُ مَدْرَسَـةِ النُبـوَّةِ كُلُّهمْ نَسَبُ التُقَـاةِ ولُحْمَـةُ الأَطْهَـارِ

● ● ●

● دربي سبيل الله! ●

سَأُعيدُ سيرَتَهُمْ وأَبْـرأُ مِنْ هَوَى عَصَـبِـيَّةٍ جَهْـلاءِ أَوْ أَوْزَارِ
أَنَـا مُسْتَقِـلٌّ عَنْ دَعـاوى فِتْنةٍ ووحُـولِ أَوْهَـامٍ ودَرْبِ عِثَارِ
أَنَـا لَنْ أُمَزِّقُ مُهجَتِي وحُشَاشَتي قِطَعـاً تُبَـاعُ وتُشْـتَرى بدُلاَرِ
أَنَا لاأُريدُ على الطريق بنَاءَ جِسْـ ـرِ إِبَـادَتي أَوْ وَصْمَـةً مِنْ عَارِ
أَنَا إِنْ بَنَيْتُ فمِنْ دَمِي أَبني العُلا ومِنَ التُّقَى أَبْني شَوَامِخَ داري
دَرْبِي سَبِـيلُ الله يا لجَلائِـهِ نُورٌ يَمُـوجُ على رُبـىً وقِـفَـارِ
لا يَطْرُقَـنَّ سَبِـيلَهُ إلاَّ الـذي يأْبَـى مُسَـاوِمَـةً وذُلَّ صِغَـارِ

يَجْلو عَلى المَـيْدانِ عِزَّةَ دينِـهِ ... ويَصُوغُ في السَّاحاتِ صِدْقَ شِعَارِ

● ● ●

ورَجَعْتُ أَبْحَثُ في الدُّروبِ أَشُقُّهَا ... شَقًّـا وأَدفـعُ خُطْوَتي وبِـدَاري
فَلمحتُ آيةَ سَاحِهـا وعُصَـارَةً ... مِنْ شَوقِهَـا فَهَـرعْتُ في إصْرارِ
جُمِعَ الحَنـينُ فكـانَ قُبَّةَ صَخْرَةٍ ... وطُـيُوفَ إِسْراءٍ وطـيبَ مَزارِ
ورَفيفَ أَجْنِحـةِ الحَـمَامِ وخَفْقَةً ... مِنْ أَكْـبُـدٍ حَرَّى ومِـنْ زُوَّارِ
ودويَّ آياتٍ ورَهْـبَـةَ مَوْكِـبٍ ... مِنْ سُجَّـدٍ خَشَعَتْ ومِنْ أَنْـوَارِ
وجَـلالِ تكـبـيرٍ وعِـزَّةَ أُمَّـةٍ ... قَنَـتَـتْ ووَثْبَـةَ فارسٍ مِغْـوارِ
فأَلَمُّ أَشْـوَاقـي هُنَـاكَ بِدَمْعَـةٍ ... وتَضَرُّعٍ في خُفْـيَةٍ وَجِـهَـارِ

● ● ●

يَا قُبَّةَ الأَقْصى طَلَعْتِ على المَدَى ... أُفْـقـاً يُظَلِّلُ لَهْفَـتي وأَوَارِي
فَمـلأْتِ آفَـاقَ الحَـيَاةِ بَلالَـةً ... عِنْـدَ الهَجـيرِ وعِنـدَ كُلِّ عِصَارِ
يَا ساحَـةَ الأَقْصَى ويا لجَلالِـهِ ... سُدَّتْ إليك مَسَـالِـكُ وبَـرَاري
أَأَمُـرُّ في سَاحَـاتِـهِ وأَشُمُّ مِنْ ... عَبَـقِ الجِـنَـانِ بِهِ ومِنْ أَزْهَـارِ
أُصْغِي إلى الـزَّيتونِ بَيْنَ ظِلالِهِ ... قَصَصُ الجُـدودِ ونَسْمَةُ الأَخْبَارِ
وعَـلى أَريجِ الـبُرْتُقـالِ نَدَاوةً ... نَشَرَتْ هوَى الآصَالِ والأَسْحَارِ
وشَـذاً مِنَ الليمُـونِ بَيْنَ أَريجِـهِ ... دَفْـقُ المَـلاحِمِ أَو دَويُّ نِفَـارِ
المسجِـدُ الأَقْصى! فَيا لِحَنينِـهِ ... وأَنِـينِـهِ وَجِـراحِـهِ وَإِسَـارِ

● ● ●

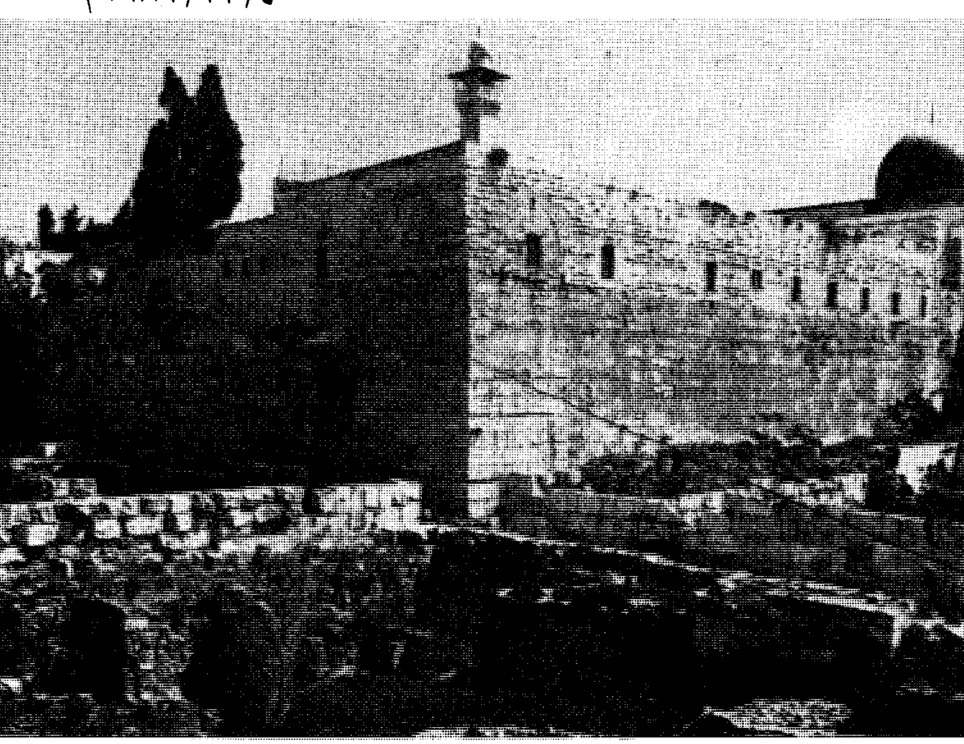
● يبنون من أشلائهم شرف الهَوى ●

وَرَجَعْتُ أَدْراجِي وخَلْفِي صَيْحَةٌ ... تَدْعُـو وتُنْـذِرُ كُلَّ مَنْ في الـدَّارِ
أَمْضِي ويَتْبَعُنِي الصَّـدى وكـأَنَّـهُ ... شقَّ الـزَّمـانَ وعَـادَ في آثَـاري
مِنْ كُلِّ رابِـيَةٍ نِداءُ عَقـيدَةٍ ... وطُيوفُ أَجْـدَادٍ تَقُـولُ: حَذَارِ
إِيَّاكَ مِنْ شَرَكٍ يُمَـدُّ وفِـتْنَـةٍ ... تُلقَى وحَبْـلِ مَكَـائِـدٍ ودَمَـارِ
إِيَّاكَ مِنْ وحْـلٍ تَغُـوصُ بِهِ فَلا ... تَنْجُـو ومِنْ جُحْـرٍ ومِنْ أَوكَـارِ
المُجْـرِمُـونَ عِصَـابَةٌ! يَا ويْلَهُمْ! ... هَلَكُـوا على طَمَـعٍ لهُمْ وسُعَـارِ
وَثَبُـوا وبينَ ضُلُوعِهِم جَشَعُ الهَوَى ... وعَـلَى أَكُـفِّهِمُ جُنُـونُ شِفَـارِ
تَركُـوا ضَحِيَّتَهُمْ ولسْتَ تَرَى سِوى ... مِزَقٍ تَنَـاثَـرُ في نُيُوبِ ضَوَاري
يَتَنَـازَعُـونَ هَوَاءَهـا وفَضَـاءَهَـا ... ورُبُـوعَهَـا ومَنَـابِتَ الأَشْجَـارِ
والنَّـاسُ قِطْعَـانٌ تُسَـاقُ لِمَهْمَـهٍ ... دامٍ وتُـنْـحَـرُ في يَدَيْ جَزَّارِ
دُوَلٌ عَمالِقَـةُ الفَسَـادِ فَسِلْمُهُمْ ... مكـرٌ وحَـرْبُهُمُ جُنُـونُ دَمَـارِ
مَا كَانَ يَسْتَجْـدِي الأَبِيُّ حُقُوقَهُ ... مِنْهُـمْ ولا يَرْضَى هَوَانَ «قَـرَارِ»
«حقُّ المصير» إِذَا عَزَمْتَ فَخُضْ لَهُ ... بَحْـرَ الـدِّمَـاءِ تَفُزْ بعقْبَى الدَّارِ
واجْعَـلْ لِدَرْبِـك خُطَّةً تجلو بِهَا ... عَزْمـاً ومَـعْـلَمَ وثْـبَـةٍ ومَـنَـارِ
وادْفَعْ إلى المَيْدَانِ زَحْفَ كَتَائِبٍ ... رُصَّتْ على عهْـدٍ وصِـدْقِ ذِمَارِ
يَمْضُـونَ للأَقْصَى نُفُوساً أَرْخَصَتْ ... مُهَـجـاً وصَـبَّـتْ مِنْ دَمٍ فَوَّارِ

يَبْنُونَ مِنْ أَشلائِهِمْ شَرَفَ الهَوَى ... ومِنَ الجَمَاجِم عِزَّةَ الأَسْوَارِ
للهِ كُلُّ قَذِيفَةٍ شَقَّ الهُدَى ... آفاقَهَا قَدراً مِنَ الأَقْدَارِ
تَهْوِي كَمَا يَهْوِي القَضَاءُ إِذَا أَتى ... بِمَعَاقِلِ الفُجَّارِ والكُفَّارِ
فَتُطِلُّ مِنْ سَاحِ الجِهَادِ بَشائِرُ ... طَلَعَتْ طُلُوعَ الكوكَبِ الزَّهَّارِ

٦/ ٥ / ١٤١٠هـ

٤/ ١٢/ ١٩٨٩م



منظر لحفريات يهود خلف الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد الأقصى

الباب الرابع

نجوى بين كابل والأقصى[1]

---

(١) هذه الأبيات مأخوذة من قصيدة عنوانها: على أبواب كابل. أُخِذتْ هذه الأبيات لاستكمال صورة الملحمة من الواقع، ومن خلال التصوّر الإيماني، وقد أُلقيت هذه القصيدة في ندوة شعرية في مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض. وترد القصيدة كاملة في ملحمة الجهاد الأفغاني.



الفصل الأول

أفغانستان بين الشوق والنصر

على أبواب كابل

نجوى الطفولة في أفغانستان:

من جاء بالروس؟!

● على أبواب كابول ●

أَأَسكُبُ الشَّوقَ مِنْ جَفْنٍ ومِنْ كَبِدٍ ... ومِنْ رُؤى وَصَلَتْ عَهْداً مضى بِغَدِ
الـذِّكْريات على أَطْلالِها نَهَضَتْ ... تُعـانِقُ المجدَ شَوْقَ الأُمِّ للوَلَـدِ
هُنَـا الليالي التي فارَقْتُها زَمَنـاً ... عَادَتْ تُحدِّثُ عنْ أَهلي وعَنْ بَلدِي
«كابُولُ» دَاري وإنْ شَطَّ المَزَارُ فما ... يُقَـرِّبُ الـدَّارَ إلا لَهْفَـةُ الكبِـدِ
فَحيثُما كانَ ذكْرُ الله عُدْتُ إلى ... حَبْلٍ من الله مَوْصولٍ ومُنْعَقِد
أَنا انتسابي إلى الإسلام كُلّ هَوىً ... ماضٍ ويبقى هوى ديني ومُعْتَقَدِي

● ● ●

لله دَرُّك يا «كـابـولُ» أَيُّ شَذاً ... أَحْلَى مِنَ الدَّمِ دفَّاقاً مِنَ الوُرُدِ[1]
أَزْكى من الـوَرْدِ فَوَّاحاً بِرَوضته ... أَغْنَى مِن النَّبْعِ فَوَّاراً على جَدَدِ[2]
رَحِيقُـهُ في سبيل الله نَفْحَتُـه ... نَصرٌ على عِزَّةٍ قَعْسَاءِ لم تَحِدِ[3]
كأَنَّـه عَبَـقٌ والسَّـاحُ تَنْشُرُهُ ... مِلءَ الزَّمانِ، على الآفاقِ، في النُّجُدِ
لله تَسكُبُـه الأَبـطالُ صاعـدَةً ... على مَدَارِجِهـا آفَـاقَ مُجْتَهِـدِ
إلى الجِنَان! إلى الفردَوس وثْبَتُها ... تَدُقُّ أَبـوابَهـا دقّاً بكـلِّ يدِ
للنَّـاسِ إن أَظْلَمُـوا نُورٌ به وإذا ... مَالُـوا فمنْهُ جَلاءُ الحقِّ والسَّدَدِ

(١) الوُرُد: جمع الورد، وهو اللون الأحمر، أو الزهرة المعروفة، أو الأسد.

(٢) جَدَدَ: الأرض الغليظة المستوية.

(٣) قعساء: الثابت من العز.

كَمْ آيةٍ عَرَضَت مِنْ طيبها عَبَقاً على عُلاً زَاهِرٍ فى أُفْقِهَا الفَرِدِ
فَقِفْ هُنَا أيُّها الإنْسان في رَهَبٍ واخْشَعْ إلى الله في سَاحَاتِهَا وَعُدِ

● ● ●

جَلَالُ نَصْرِكَ آياتٌ مبيِّنَةٌ للمُؤْمنين وغَيْظُ الحَاقِدِ النَّكِدِ
عَشْرٌ مَضَتْ! والدَّمُ القَاني يُفَجِّرهُ مِن الوَرِيدِ وفَاءُ العَهْدِ والعُدَدِ
لقَدْ تَجَاوزْتِ شَكْوانَا وواقِعَنَا وقُمْتِ مِنْ غَفْوَةٍ رَكْضاً إلى كَبَدِ [1]
إلى المَيادين يُجْلَى في مَلاحِمِهَا حقٌّ ويُحْسَمُ مِنْ أَمْرٍ ومِن عُقَدِ
هُناك بينَ اللّظى صُغْتِ السِّياسَة لا بينَ الأَرائِكِ والأَطْباقِ والحَفَدِ [2]
هُنَاكَ صُغْتِ على المَيْدَان فلسفةً تَقُولُ إن شِئتَ نَصْراً قُمْ لهُ وجُدِ
وَعُذْ بربِّكَ لا تُشْرِكْ به أحداً ومَنْ يَعُذْ بسِوى الرَّحمنِ لم يَسُدِ

● نجوى الطفولة في أَفغانستان: من جاء بالروس ●

رَأَيْتُ طِفْلاً مِنَ الأَفْغَانِ يسْأَلني مَنْ جاءَ «بالرُّوسِ» زهوَ الظالِمِ الحَرِدِ [3]
أَلَيْسَ عِنْدَهُم مَأْوى يَلُمُّهُمُ وغَرْسَةٌ حَمَلَتْ زاداً لمُرْتَفِدِ [4]
ونَبْعَةٌ سَكَبَتْ مَاءً لذي ظَمَأٍ وحِكْمَةٌ مِنْ جَلاءِ الدّين والرَّشَدِ
أَليسَ عِنْدَهُمُ طِفْلٌ تَحِنُّ لهُ أُمٌّ فَتُطْلِقُه مِنْ شَوْقِهَا لِدَدِ [5]
ما بَالُهُمْ أَقْبَلُوا مِثْلَ الجَرَادِ على زَرْعٍ فأَضْحى رَبيعُ الأَرْضِ كالجَرِدِ [6]

(١) كَبَد: مشقة.
(٢) الحَفَد: الأعوان والخدم.
(٣) الحَرِد: الغاضب.
(٤) مُرْتَفِد: مُتَكَسِّب.
(٥) لِدَد: لهو الأطفال ولعبهم.
(٦) الجَرِد: فضاء لا نبات فيه.

يا ليتَهُم صَبَرُوا حَتَّى نَمُـدَّ لَهُمْ صَفْوَ النَّصيحَةِ مِنْ دِيْنٍ ومِنْ رَفَدِ
فقُلْتُ: مَهْلَكَ! شَرُّ المُحْدثاتِ هَوىً وشَرُّ ما في الهَوَى قتلٌ على عَمَدِ
لو كُنْتَ تَعْلَمُ آفاتِ النُّفوسِ وَمَا يَدُورُ مِنْ طَمَعٍ فيهَا ومِنْ حَسَدِ
عَجِبْتُ للطفْـلِ صَاغَ الحقُّ مَنْطِقَهُ ولَمْ يَجِدْ مَنْـطِقُ الكُفَّارِ مِنْ سَنَدِ
الحَـقُّ أَبْلجُ نَلْقَـاهُ بِفِـطْرتِنَـا عَفْوَ الطُّفُولَةِ صِدْقَ الشَّيْبِ والمَرَدِ

● ● ●

ظَمِئتِ «كابُولُ» مِنْ شَوْقٍ إلى بطلٍ ومن حَنينٍ إلى برٍّ الرِّجَالِ نَدِي
ظَمِئتِ يا مَصْنَعَ الأَبطالِ، كَمْ وَثَبَتْ مِنْكِ البُطولَةُ وثْباً واسعَ المَدَدِ؟!
ظَمِئتِ؟! ماذا سَقَاكِ الرُّوسُ وَيْحَهُمُ وأَينَ ما قيل عَنْ رَيٍّ وعَنْ رَغَدِ؟!
سَقَـوكِ ماءً أُجَاجاً زادَ من ظَمأٍ ومِنْ لهيبٍ على الأَحْشَـاءِ مُتَّقِدِ
كَابُول! طيبي إذن نَفْساً وعافِيَةً فسـوفَ يأتِيكِ بَرْدُ الفَارِسِ النَّجدِ[1]
صَبْراً فَهـذِي زُحـوفُ الصَّادِقين أَتَتْ لِتَسكُبَ الرَّيَّ مِنْ قَلْبٍ ومِنْ كَبِدِ

● ● ●

شَعْبٌ أَبَـرُّ على تقوى الجهادِ لهُ سَعْيُ الأُبَـاةِ وخـطوٌ غيْرُ مُتَّئِـدِ
صُبُّوا لها الرِّيّ! مَا أَحْلى الوفَاءَ لهَا وأَطْـفِئُـوا ظَمَأَ الأَحْنـاَءِ بالـبَرَدِ
فكُلُّ طفلٍ عَلى سَاحَاتِهَا ظَمِىءٌ وكُلُّ شَيْخٍ يُنَادي أَيْنَ مِنَ عَضُدي
وكُلُّ كَاعِبٍ حَيٍّ بالتُّقَى التَفَعَتْ مَا بَيْنَ عِزَّةِ طُهْرٍ أَوْ حَيا خُرُدِ[2]

---

(١) النَّجد: الشجاع الماضي فيما يعجز عنه غيره.

(٢) الخُرُد: جمع خريدة، وهي الفتاة البكر لم تمسس، الخَضِرة، المستترة.

الفصل الثاني

نجوى في فلسطين

نجوى زهر الليمون:

خبأت كل عطوري في مجامرها.

نجوى شجر الزيتون:

نهجان قد ميز الرحمن بينهما.

نجوى الطفولة في فلسطين :

أين الملايين من أهلي ومن رحمي.

● نجوى زهر الليمون ●

خبَّأتُ كلَّ عُطوري في مجامرها »

«كَابُولُ»! لي مَنْزِلٌ كَانَتْ ملاعِبُه ... مَغْنَى الصِّبَا ورَفيفَ الطَّائِر الغَرِدِ

هُنَاكَ بَيْنَ ظِلاَلِ البُرْتُقالِ سَرَى ... نَفْحُ العُصُور غَنِيَّ الجُودِ والمَدَدِ

هَلِ البَسَاتِينَ ما زَالَتْ تَلُمُّ بهَا ... أَحْلَى الثِّمَارِ وأَحْلى العِطْرِ والشَّهَدِ؟!

هَل العَصَافِيرُ مِنْ أَعْشَاشها خَرَجَتْ ... مَعَ البُكُورِ وهَلْ زَهْرُ الرِّياضِ نَدي؟!

هَلِ المُروجُ، هَلِ الأَنْسَامُ هلِ زَهرٌ ... يَموجُ بَيْنَ غَنيّ الحَلْي والبُرُدِ؟!

كَأَنَّ وَشْوشَةَ الزَّيتُون أُغْنِيَةٌ ... تقُولُ هذي مَيَادِينُ الرَّدَى فَردِ

وقالَ لي زَهرَ اللّيمون: مَهْلَكَ لنْ ... أَجُودَ بالعِطْرِ! قَدْ أَمْسَكْتُ جُودَ يَدِ

خَبَّأْتُ كُلَّ عُطوري في مَجَامرها ... نَدِيَّةً لِشَهيدِ الحقِّ والسَّدَدِ

يُعيدُ لي مُهْجَةً كَمْ كُنْتُ أَرْقُبُها ... نقيَّةً صَدَقَتْ للوَاحِدِ الأَحَدِ

يُطَهِّرُ الأَرْضَ مِنْ رِجْسٍ أَلَمَّ بهَا ... ومِنْ فَواجِرِ آفَاقٍ ومِنْ شُرُدِ

ويَسْكُبُ العِطْرَ من أَوْداجِه عَبَقاً ... دماً تَفَجَّرَ مِنْ قَلْبٍ وَمِنْ كَبِدِ

يَرْوي جُذُوراً مِنَ التَّاريخ ضَارِبَةً ... في الأَرْضِ أَوْ أَغْصُناً رَفْرافَةَ المَلَدِ(1)

أَزكَى مِنَ العِطْرِ مَا جَادَ الفُؤادُ به ... نَفْحاً يَظَلُّ غَنَاءَ الأَعْصُرِ الجُدُدِ

هذي فِلَسْطِينَ جَنَّاتٌ مُفَتَّحَةٌ ... ورَبْوَةٌ مِنْ مَعِينِ المَاءِ والبَرَدِ

تَظَلُّ مَلْحَمَةُ الإيمانِ دَائِرَةً ... فِيهَا وَدَفْقُ دِمَاءِ المُؤمنينَ نَدِي

---

(1) المَلَد: الشباب، النّعمة، الاهتزاز.

● نجوى شجر الزيتون ●

نهجان قد ميَّز الرحمن بينهما

وَقَالَ لي شَجَرُ الزَّيْتُونِ: ويْحَكَ سَلْ ... كُلَّ الرَّوابي ومَا قَدْ طَالَ مِنْ أَمَدِ

إِني لَغَرْسَةُ إِسْلَامٍ وَلي نَسَبٌ ... في الدِّين فَاقْرأهُ في آيٍ ومُعْتَقَد

وقَالَ لي كُلُّ مَا في الدَّارِ مِنْ شَجَرٍ ... وكُلُّ مَا غَارَ أَوْ مَا اشْتَدَّ مِن صُعُدِ

مَنْ ذا يُمزِّقُني؟! مَنْ ذا يُقَطِّعُني ... مَنْ ذا يَبيعُ غِراسَ العِزِّ والرَّأدِ

أأفْصِلُ القُدْسَ عَنْ عَكَّا وشاطِئها ... وغَزَّةً ورُبَى نَابُلْسَ عَنْ صَفَدِ

الأَرْضُ أرْضِيَ، أَرْضُ المسلمين فَمَنْ ... تُراهُ وُكِّلَ في بَيْعٍ وفي سَنَدِ

مَنْ ذا يُقِيمُ دُويْلاتٍ مُمَزَّقةً ... كَأَنَّها رُقَعٌ في ثَوْبِ مُنْجَرِدِ

أَوْ أَنَّها سُبَّةٌ في الدَّهْرِ عالِقةٌ ... لا تَنْمَحي! وعَذَابُ الله حَقُّ غَدِ

وَنَسْمَةٌ حُلْوَةٌ مرَّتْ تَقُولُ لَنا ... ومِلْؤُها عَبَقُ السَّاحَاتِ والنُّجُدِ

نَهْجَانِ قَدْ مَيَّزَ الرَّحمن بَيْنَهُمَا ... نَهْجُ الضَّلَالِ ونَهْجُ الحقِّ والرَّشَدِ

لا يجمَعُ الله نَهْجَ المؤمنينَ عَلى ... نَهْجِ الفَسَادِ ولا صِدْقاً على فَنَدِ

لَيسَ النَّوافِرُ أَبْنائي وإِنْ وُلِدُوا ... هُنَا، ولَيْسَ عَدُوُّ الله مِنْ وَلَدي

بَرِئْتُ لله مِنْ صَفٍّ يُوَحِّدُهُ ... ذُلُّ التُّراب وشَكْلُ اللّحْم والجَسَدِ

وَعُذْتُ بالله حَتَّى قُلْتُ مِن كَمَدٍ ... يَا لَيْتَني كُنْتُ لَمْ أُنْجَبْ ولَمْ أَلِدِ

المؤمِنُونَ هُمُ الأَنْسَابُ صَادِقَةً ... والله دونَ جميعِ الخَلْقِ مُعْتَمَدِي

● نجوى الطفولة في فلسطين ●

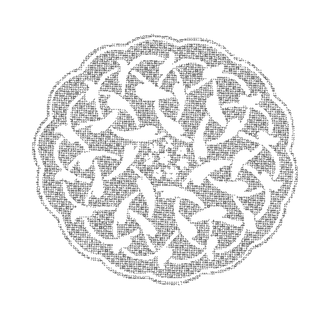
أين الملايين من أهلي ومن رحمي

رَأَيْتُ طِفْلاً عَلَى سَاحَاتِها كُسِرَتْ ... يَدَاهُ والسَّاقُ عَنْ كَيْدٍ وعَنْ عَمَدِ
وبَـيْنَ جَفْنَيْهِ شَيءٌ لَسْتُ أَعْـرِفُهُ ... كَأَنَّـهُ الـدَّمْـع بَيْنَ المَـاءِ والجَمَدِ
فَقَـال إنِّي حَبَسْتُ الدَّمْعَ يَمْنَعُهُ ... مِنِّي الإِبَاءُ وَصِدْقُ العَزْمِ والجَلَدِ
ولاَ يَرَاني عَدُوّي! إنْ تَكُنْ كُسِرَتْ ... يَدَايَ فالعَـزْمُ لَمْ يُكْسَرْ ولم يَكَـدِ
لكن يَكـادُ يُذيبُ الدَّمْعَ يَدْفَعُهُ ... على خُدُودِيَ هَجْرُ الأَهْلِ ، ضِيقُ يَدي
أَنَـا انْتسابي لِدَارِ المُسْلمينَ فَهَلْ ... أَظَـلُّ في عَالَمٍ ناءٍ ومُـنْـفَـرِدِ
كُلٌّ يُصَـفِّقُ لي! والنَّـارُ تأكُلُني ... والنَّاسُ في شُغُلٍ عَنِّي وفي زُهُدِ
أَيْنَ الملايينَ مِنْ أَهْلي ومِن رَحِمي ... أَينَ المَدَافِعُ في زَحْفٍ وفي حَشَدِ
أَظَـلُّ أَحْمِـلُ أَحْجَـاري وأَقْذِفُهَا ... إلى مَتَى؟! وعَدُوِّي كامِلُ العُدَدِ
ولَمْ أَجِدْ مَدْفَعاً في السَّاحِ يَحْملني ... ولا الـرَّصَاصةَ! إلاّ في حَشَا كَبِدي
صُبُّـوا جُمُوعَكُمُ في سَاحِهَـا فَهُنَا ... خَصْمٌ تَطَلَّعَ للآفَـاقِ والصُّعُـدِ
إِذَا رَكَـنْـتُـمْ أَتَى مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ... يَسْـطُوا وَيُفْسِدُ في رِزْقٍ وفي وَلَدِ
ويُفْسِـدُ النَّاسَ عَنْ دِينٍ وعَنْ خُلُقٍ ... وتِلْكَ حَالِقَـةُ الآفَـاتِ والعُقَـدِ
الجَـاهِـلِيَّةُ إِعْصَـارٌ يُدَمِّـرُنَـا ... وخَشْيَةَ المَـوْتِ مَوْتُ الذُّلِّ والكَمَدِ
سَأَجْعَـلُ الحَجَـرَ المَوَّارَ قُنْبُلَةً ... وأُلْهِبُ الأَرْضَ مِنَ نَارٍ ومِنْ وَقَدِ

وأَمْــلأُ الأُفْقَ هَدَّاراً بقــاذِفَــةٍ   مِنَ الصَّــواريخ أُلْقيهَا على لُدَدِ
سَيَنْثَني الطّفْل عِمْلاقاً بسَاحَتِها   يَدُكُّ مِنْ قُلَلِ الكُفَّـارِ أو عُمُـدِ
ويَنْثَني حَجَـرُ الأَطْفَـال عَاصِفَةً   تجْتَاحُ مِنْ قَلْعَةٍ فِيهِمْ ومِنُ سُدَدِ
حَتَّى يَقُولَ بَنُو الدُّنْيا وقد ذُهِلُوا   هُنَـا إِذَنْ أُمّـةُ الإِسْـلام لم تُبَدِ
عَادَتْ لِيَسْعَـدَ في أَفْيائِهَـا أُمَمٌ   ويَنْعَمَ الخَلْقُ في أَمْنٍ وفي رَغَـدِ
نَمْضِي لِنَحْمِـلَ للدُّنيا رِسَـالَتِنـا   ونَـدْعـوَ النَّـاسَ للإِيْمانِ والرَّشَدِ
وَنَـدْعـوَ النَّاسَ أَلَّا يُشرِكُوا أَبَداً   وَلا يُنَـافِقَ إِنْسَـانٌ إلى أَحَـدِ

٨/ ٨/ ١٤٠٩هـ

١٥/ ٣/ ١٩٨٩م



الفهرس

الباب الأول

الباب الثاني

مع الشعر

البـــاب الثـــالث

البـاب الرابـع

كتب للمؤلف

- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية ـ الطبعة السادسة.
- الشورى وممارستها الإيمانية ـ الطبعة الثالثة.
- الشورى لا الديمقراطية ـ الطبعة الرابعة.
- لقاء المؤمنين ـ الجزء الأول ـ الطبعة الرابعة.
- لقاء المؤمنين ـ الجزء الثاني ـ الطبعة الثالثة.
- منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ـ الطبعة الثالثة.
- التوحيد وواقعنا المعاصر ـ الطبعة الثانية.
- العهد والبيعة وواقعنا المعاصر ـ الطبعة الثالثة.
- النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية ـ الطبعة الرابعة.
- النيّة في الإسلام وبعدها الإنساني ـ الطبعة الأُولى.
- الولاء بين منهاج الله والواقع ـ الطبعة الثانية.
- الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام. ـ الطبعة الثانية.
- نهج الدعوة وخطة التربية والبناء ـ الطبعة الأُولى.
- منهج لقاء المؤمنين ـ الطبعة الأولى.
- «خطة الداعية The Caller's Plan » (باللغة الإنجليزية) ـ الطبعة الأولى.
- لقاء المؤمنين ـ الجزء الأول ـ (مترجم إلى اللغة التركية).

- الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ـ الطبعة الثانية.

- الحداثة في منظور إيماني ـ الطبعة الثالثة.
- تقويم نظرية الحداثة ـ الطبعة الثانية.

- ديوان الأرض المباركة ـ الطبعة السادسة.
- ديوان موكب النور ـ الطبعة الرابعة.
- ديوان جراح على الدرب ـ الطبعة الثالثة.
- ديوان مهرجان القصيد ـ الطبعة الأولى.

- ملحمة الغرباء ـ الطبعة الثالثة.
- ملحمة القسطنطينية (فتحان) ـ الطبعة الثانية.
- ملحمة الجهاد الأفغاني ـ الطبعة الثالثة.
- ملحمة فلسطين ـ الطبعة الخامسة.
- ملحمة الأقصى ـ الطبعة الثانية.
- ملحمة الإسلام في الهند ـ الطبعة الأولى.
- ملحمة البوسنة والهرسك ـ الجريمة الكبرى ـ الطبعة الثانية.

- على أبواب القدس ـ الطبعة الثانية.
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع ـ الطبعة الرابعة.
- الصحوة الإسلامية إلى أين؟ ـ الطبعة الثالثة.
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع ـ (مترجم إلى اللغة التركية).
- دراسة انتشار الموجات الإلكترومغناطيسية المتوسطة (باللغة الإنجليزية) ـ الطبعة الأولى.

مع ملحمة الأقصى

هذه الملحمة، «ملحمة الأقصى» ملحمة شعرية أقدمها لترسم مرحلة من مراحل قضية فلسطين، ولتربط واقع القضية اليوم بتاريخها الغابر، ولتربط هذا كله، الماضي والحاضر والمستقبل، بدين وعقيدة، بدين الإسلام، ومنهج التوحيد والإيمان، بالكتاب والسنّة، وبسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

حنين إلى فلسطين لا ينقطع، وشوق إلى طلائع النصر لا يتوقف، وآمال تموج في القلوب لا تهدأ! وأجفان وقلوب تعلّقت بالمسجد الأقصى.

كيف لا؟! وهي أرض باركها الله وجعلها حقّا خالصاً للإسلام وأهله، أمانة في أعناق المسلمين إلى يوم القيامة، يُحاسَبُون كلُّهم على مدى الوفاء بها!

لقد كان المسجد الأقصى هو القبلة الأُولى للمسلمين قبل أن تتحوّل القبلة إلى الكعبة المشرّفة. وإليه أسرى الله بعبده محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين. ومنه عُرِج به إلى السماء، إلى سدرة المنتهى. فخصّه الله بهذه الآية البيّنة والمعجزة الباهرة.

والمسجد الأقصى هو في الأرض المقدّسة، في الأرض التي باركها الله، في أرض المنشر والمحشر، في أرض الرباط والملاحم.

ردمك ١–٠٣–٦٨٧ – ١٦٠

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ – ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض